في رحاب عاشوراء

«محاضرات في شرح زيارة عاشوراء»

سماحة العلامة المجاهد

السيد صدر الدين القبانچي

«دامت بركاته»

إعداد وتحقيق

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

هوية الكتاب

الكتاب: في رحاب عاشوراء

المؤلف: السيد صدر الدين القبانچي

الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

الطبعة: الأولى _ النجف الأشرف _ شهر رمضان ١٤٢٥ هـ

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: النجف الأشرف

السعر: ١٢٥٠ دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

وبعد:

فهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو مجموعة محاضرات كنت قد ألقيتها على السامعين في النجف الأشرف في عشرة محرم الحرام عام ١٤٢٥ للهجرة وقد رغبَ إليّ الاخوة الكرام في طباعتها ووضعها بين يديَّ القراء.

وقد أجريت عليها مراجعة سريعة دونما تغيير في أسلوبها ومنهجها الذي حرصت أن يكون نافعاً لعموم المستمعين.

بدوري أشكر الاخوة الذين تفضلوا بجهودهم في طباعة وتدقيق وتصحيح هذه المحاضرات وأسأل الله تعالى لهم ولنا القبول والمغفرة.

النجف الأشرف

صدر الدين القبانچي

٣/ جمادى الثانية/ ١٤٢٥هـ

يوم شهادة الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، والصلاة والسلام على خير خلقه وسيدّ رُسله محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

ما برحت عاشوراء أن تكون إلاّ المرتقى الأعلى، وما فتئت أن تكون إلاّ الباب المبتلى به الناس لا يرده إلاّ الصدّيقون فالقتيل في عاشوراء هو من سكن دمه في الخُلد، واقشعرّت له أظلّة العرش، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع، وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه وحبيبه وفلذة كبده وروحه التي بين جنبيه.

قتيل عاشوراء ذو النحر المنحور والأضلاع المهشّمة بحوافر الخيل هو خامس أهل الكساء الذين افترض الله تعالى مودّهم على كلّ مسلم، في قوله عزّ من قائل ﴿قُل لا أَسئَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُربى﴾.[1]

وهذا الكتاب الماثل بين يديك _ عزيزي القارئ الكريم _ هو الثمرة اليانعة لعشرة محاضرات في شرح زيارة عاشوراء وبيان أهمّيّتها والتأكيد

1- سورة الشورى: الآية ٢٣.

على مضامينها الرفيعة، ألقاها سماحة العلاّمة المجاهد حجّة الاسلام والمسلمين السيد صدر الدين القبانچي على ثلّة من المؤمنين في ليالي عاشوراء عام ١٤٢٥هـ، وقد استهلّ سماحته كلامه في الحديث عن تفاعل السماء مع الأرض في حركة الإمام الحسين عليه السلام، ومحوريّة الإنسان للوجود الكونيّ بحيث يرتفع فيكون أشرف من الملائكة، وبحيث يجعل الله تعالى السماوات وما فيها في خدمته، حتّى انّ حملة العرش الذين يطوفون بعرش الرحمن يستغفرون لهذا الفرد المؤمن.

ثمّ تطرّق إلى شرح فقرات من زيارة عاشوراء، وهي زيارة الإمام الحسين عليه السلام المرويّة عن إمامنا محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، وهي من الزيارات المعتبرة المهمّة، مستلهماً منها المعاني السامية الرفيعة، باعتبار أنّ الزيارات تعدّ مدرسة ثقافيّة وتربويّة وجهاديّة مليئة بالعطاءآت، متحرّياً التعرّض إلى أبحاث هامّة في مجال العقيدة والفلسفة والقرآن والتاريخ تجعل القارئ الكريم يتنقّل في حديقة إسلاميّة غنّاء، وارفة الظلال، دانية القطوف.

وقد تعرّض سماحة السيّد المؤلّف دام ظلّه لشرح جملة من الموضوعات الهامّة التي تُشير إليها فقرات زيارة عاشوراء، كموضوع مقامات أهل البيت عليهم السلام وأساس الانحراف الذي حصل في الأمّة عن الخطّ الاسلامي الأصيل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الولاية شرط لقبول الأعمال، وموضوع الاقتداء والتأسّي بأهل البيت عليهم السلام في

مجالي القول والعمل، وعرّج من ثمّ إلى موضوع وسيلة التقرّب إلى الله تبارك وتعالى من خلال موالاة أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، وأكّد على حقيقة أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤوليّة عامّة يتحمّلها جميع أفراد الأمّة الإسلاميّة، وانتهى إلى مناقشة موضوع السلم والحرب في نظريّة أهل البيت عليهم السلام وبيان مقام الصابرين والشاكرين.

ويسرّ مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف أن يقدّم للقرّاء الكرام هذا الكتاب النفيس، مساهمةً منه في تعميق المفاهيم الإسلامية الرفيعة في جمهور شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبّيهم، سائلين العليّ القدير أن يتقبّل هذا الجهد بمنّه وكرمه، وأن يوفّقهم للسير على خُطى النبيّ وآله عليهم السلام، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

رجب / ١٤٢٥ هـ

زيارة عاشوراء*

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خِيَرَةَ اللَّهِ وابْنَ خِيَرَتِهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وابْنَ ثَارِهِ والْوِتْرَ الْمَوْتُورَ السَّلامُ عَلَيْكَ وعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعا سَلامُ اللَّهِ أَبَدا مَا بَقِيتُ وبَقِيَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وجَلَّتْ وعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ [بِكُمْ] عَلَيْنَا وعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلامِ وجَلَّتْ وعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ والْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ ولَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ ومِنْ أَشْيَاعِهِمْ وأَتْبَاعِهِمْ وأَوْلِيَائِهِمْ.

---

* وهي زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء والمرويّة عن الإمام الباقر عليه السلام.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ولَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ وآلَ مَرْوَانَ ولَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً ولَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ ولَعَنَ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ ولَعَنَ اللَّهُ شِمْرا ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وأَلْجَمَتْ وتَنَقَّبَتْ لِقِتَالِكَ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيها بِالْحُسَيْنِ عليه السلام فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وإِلَى رَسُولِهِ وإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وإِلَى فَاطِمَةَ وإِلَى الْحَسَنِ وإِلَيْكَ بِمُوَالاتِكَ وبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ ونَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ وبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ والْجَوْرِ عَلَيْكُمْ وأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ ذَلِكَ وبَنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ وجَرَى فِي ظُلْمِهِ وجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وعَلَى أَشْيَاعِكُمْ بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوَالاتِكُمْ ومُوَالاةِ وَلِيِّكُمْ وبِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ والنَّاصِبِينَ لَكُمُ الْحَرْبَ وبِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ وأَتْبَاعِهِمْ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ ووَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ وعَدُوٌ لِمَنْ عَادَاكُمْ.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ ومَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ ورَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ وأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا

والآخِرَةِ وأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ هُدًى [مَهْدِيٍّ] ظَاهِرٍ نَاطِقٍ بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وأَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّكُمْ وبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصَاباً بِمُصِيبَتِهِ مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلامِ وفِي جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ ورَحْمَةٌ ومَغْفِرَةٌ اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ومَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِكَ ولِسَانِ نَبِيِّكَ [ص] فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ومَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ] اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ ومُعَاوِيَةَ ويَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الْآبِدِينَ وهَذَا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيَادٍ وآلُ مَرْوَانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ فَضَاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ مِنْكَ والْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وفِي مَوْقِفِي هَذَا وأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ واللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وبِالْمُوَالاةِ لِنَبِيِّكَ وآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمُ السَّلامُ اللَّهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُمَّ الْعَنِ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وشَايَعَتْ وبَايَعَتْ وتَابَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعا .

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وعَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ عَلَيْكَ مِنِّي سَلامُ اللَّهِ أَبَدا مَا بَقِيتُ وبَقِيَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ ولا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكُمْ السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وعَلَى أَوْلادِ الْحُسَيْنِ وعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ.

اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي وابْدَأْ بِهِ أَوَّلا ثُمَّ الْعَنِ الثَّانِيَ والثَّالِثَ والرَّابِعَ اللَّهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ خَامِسا والْعَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وابْنَ مَرْجَانَةَ وعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وشِمْرا وآلَ أَبِي سُفْيَانَ وآلَ زِيَادٍ وآلَ مَرْوَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصَابِهِمْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَظِيمِ رَزِيَّتِي اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ وثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عليه السلام (ثم تصلي ركعتي الزيارة).

المحاضرة الأولى

«الليلة الأولى / محرم الحرام / ١٤٢٥»

السماء تتفاعل مع الأرض

في حركة الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

«لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وجَلَّتْ وعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلامِ وجَلَّتْ وعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ».

عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصاب أبي عبد الله سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

حديثنا في الليالي العشر هو «**شرح زيارة عاشوراء**» وهي زيارة الإمام الحسين عليه السلام المروية عن إمامنا الباقر عليه السلام[1] ومن الزيارات المعتبرة المهمة.

حديثنا عن أجواء وعطاءات هذه الزيارة الشريفة.

الحقيقة إن الزيارات هي مدرسة ثقافية وتربوية وجهادية وثورية مليئة بالعطاءات، في زيارة عاشوراء يعيش الإنسان الشيعي مع عطاءاتها عشرات الليالي لكي تتركب مكوناته فهي مدرسة في هذه المجالات.

نتحدث الليلة عن قوله: «لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وجَلَّتْ وعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلامِ وجَلَّتْ وعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ».

وهذه ليلة تمهيدية وغداً إن شاء الله يبدأ المجلس بشكل أكمل.

1- مصباح المتهجد ص ٧٧٢.

محورية الإنسان في الوجود:

يرى الإسلام أن هناك تعاطياً وتفاعلاً بين الأرض والسماء وهذا ما لا تعرفه النظريات المادية، فالإنسان غير المؤمن بالغيب لا يعرف التعاطي بين الأرض والسماء.

إن محور الحركة في الوجود هي الأرض، ومحور حركتها هو الإنسان، ومحور حركة الإنسان هم أولياء الله، ومحورهم ولي الله الأعظم عجل الله فرجه.

سننتهي إلى نظرية عظيمة جداً هي محورية الإنسان التي لا يكاد يعرف شأنه، لكن الإنسان الذي انشق له القمر والسماوات تطوى له حين يكون ولياً، الإنسان الذي يستطيع أن يكون أشرف من الملائكة.

مسكين هذا الإنسان حين يوضع ورقة سياسية تجارية بيد جمعيات حقوق الإنسان الغربيّة.

الإسلام رفع الإنسان حتى جعله محوراً للوجود الكوني بحيث جعل السماوات وما فيها في خدمته.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الملائكة، الأرض، الرياح، الأمطار،

1- سورة غافر: الآية ٧.

إنزال الكتب، حتى نصل إلى الملائكة حملة العرش الذين يطوفون بعرش الرحمن هؤلاء يستغفرون للذين آمنوا ويقولون:

﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.[١]

القرآن يتحدث عن هذا الترابط بين الأرض والسماء بان هناك صداقة وليس عداءاً وتقاطعاً.

لهذا يتحدث القرآن عن الأرض والسماء:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.[٢]

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ _ أي الله بجلاله وعظم شأنه _ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [3] الرحمة التي وسعت كل شيء لكنها لها اختصاص بالمؤمنين، وانعطافة خاصة عليهم.

القرآن الكريم يطرح مجموعة مفردات كشواهد على التعاطي والتفاعل بين السموات والأرض، بين سكان الأرض وسكان السماء.

نحن نريد أن نعرف هل أن هذا مجرد مجاملات؟ أم أن هناك حقائق يفتح القرآن الكريم لنا صفحة منها؟

1- سورة غافر: الآية ٧.
2- سورة الجمعة: الآية ١.
3- سورة الأحزاب: الآية ٤٣.

سجود الملائكة للإنسان:

يحدثنا القرآن الكريم عن مفردات من التعاطي بين الأرض والسماء، فالملائكة الذين هم سكان السماوات أَمَرهم الله أن يسجدوا لآدم وهو _ في الحقيقة _ سجود للإنسان وليس لآدم بحاله الشخصي:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. هذا هو أول صورة من صور التعاطي بين الأرض والسماء.

سجد الملائكة كلهم إلا إبليس. سجلوا في دفتر عملهم أنهم أصدقاء لهذا الإنسان إلا إبليس الذي سجّل أنه عدو الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

إذن صفحة الصداقة بين سكان الأرض والسماء موجودة من أول خلق الإنسان.

الملائكة يتفاعلون مع هذا الإنسان حينما يكون من المتقين، فتتنـــزل على المؤمنين بما فيهم أنتم حينما تكونوا مؤمنين بدليل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢].

1- سورة البقرة: الآية ٣٠.
2- سورة فصلت: الآية ٣٠.

يعني الملائكة المكلفين بالسحاب والمطر وحركة الوجود يقول لهم الله: اخدموا البشر.

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[1] متصلاً منهمراً، وفي هذه الآية القرآنية إشارة خاصة إلى المؤمنين.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾[2].

إذن الملائكة يتنــــزلون على حركتنا ومسيرتنا وفعالياتنا الدينية، هم معنا بمقدار ما نكون على طريق الاستقامة.

لاحظوا الأدب القرآني:

تتنــــزل: إتصال في عملية نزول الملائكة، أي وأنت تمشي وتجلس وتصلّي هناك جماعة من الملائكة يتحدثون معك أن لا تخاف ولا تحزن، ولو كانت لنا آذان لسمعنا هذا الحديث، المؤمنون بقلوبهم يسمعون كلام الملائكة.

إنك تستغفر لوالديك ولأصدقائك ولكن الملائكة يستغفرون لك بدون أن ترجوهم.

وهكذا أنتم بين الناس وهم يسلمون عليكم وأنتم لا تشعرون، فالسلام عليكم من ملايين البشر يوميا حين يقولوا في الصلاة: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

1- سورة الجن: الآية ١٦.
2- سورة أعراف: الآية ٩٦.

دعاء الملائكة للمؤمنين:

الملائكة بدون أن تلتمس منهم الدعاء هم يستغفرون لك:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

إنه دعاء لو كنا نريد أن نوصي الملائكة أن يدعوا لنا دعاءاً خاصاً ما عرفنا مثل هذا الدعاء الجميل.

الملائكة يدعون لنا دعاءاً جميلاً.

رحمة الله على والدتي وأمهاتكم جميعاً، أصابها ما أصابها من السجن والأذى[2]، كانت تختم القرآن على طريقتها و أهدت القرآن مرة إلى مَلَك الموت عزرائيل وقالت سيأتي اليوم الذي نلتقي به، هكذا يجب أن نفهم العلاقة مع الملائكة فهي علاقة صداقة ومحبّة وتواصل.

1- سورة غافر: الآية ٨-٩.

2- والدة سماحة السيد القبانجي هي العلوية الجليلة فخر السادات بنت المرجع الكبير السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي قدس سره وقد سجنت سنة ونصف مع زوجها العلامة الجليل الشهيد السيد حسن القبانجي في عهد الطاغية صدام الذي كان يأخذ الآباء والامهات والزوجات طلباً لاولادهم وتنكيلاً بالوجود الديني في العراق، وملاحقة لعلماء الدين وحملة الفكر الإسلامي.

النبي صلى الله عليه وآله وهو الإنسان الكامل والحجة المعصوم ونور الله وبقية الله وحجة الله وهو التمثيل الإلهي في الأرض يُروى عنه قوله:

«لولا إن الشياطين يحومون على قلوب أبناء آدم لنظروا إلى ملكوت السماء».[1]

ينظرون إلى ملكوت الوجود السماوي لكن الشياطين لا يسمحون بتكوين مثل هذه الرؤية.

الشياطين عملهم تلويث عين ابن آدم حتى لا ترى أكثر مما ترى الآن.

إن إبراهيم رأى ملكوت السماء كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الإنسان المؤمن كذلك أيضاً يمكن أن يرى ملكوت السماء، لكن الشياطين تحوم على قلبه ولا تسمح له بالرؤية.

الملائكة تتفاعل مع الحسين عليه السلام:

إمامنا الحسين عليه السلام يمثل حجة الله وبقية الله وهو يتعرض إلى غُربة وحصار وملاحقة ثم قتل وعطش وقطع الرأس في أشبع جريمة عرفها التاريخ البشري فلماذا لا نقول: «عظمت وجلّت المصيبة بك علينا وعلى

1- البحار للمجلسي، ج ٦٠: ٣٣٢، نقلاً عن تفسير الرازي، ج ١: ٧٦ – ٨٩، راجع أيضاً المحجة البيضاء للكاشاني، ج ٢: ١٢٥.

جميع أهل الإسلام» ولماذا لا نقول: «وجلّت وعظمت مصيبتك في السماوات على جميع أهل السماوات».

الروايات تقول إن عرش الرحمن يهتز لبكاء اليتيم.[1] فلماذا يكون غريباً اذا قلنا ان عرش الله اهتز لمقتل الحسين عليه السلام؟

لقد عظمت وجلت مصيبتك في السماوات على جميع أهل السماوات.

الإمام الحسين عليه السلام في مثل يوم غد وهو الثاني من محرم الحرام عام ٦١هـ يكون قد وصل كربلاء في المسيرة التي سار التاريخ معها، المسيرة التي سار معها الأنبياء عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام.

ما خفق قلب للمؤمنين إلا مع حركة الحسين. الحركة العملاقة التي غَيَّرت الدنيا ولا نستطيع أن نبلغ عمقها وكنهها وهذا حديث علمي وليس مبالغة.

كيف يتعامل الرسول صلى الله عليه وآله مع الحسين؟، أم سلمة؟، نوح؟، آدم، باقي الأنبياء عليهم السلام؟ تجد شيئاً عجيباً في تعامل هؤلاء مع قضية الحسين التي هي مسيرة الإنسانية كلها والتي تسير مع مسير الحسين.

1- عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن اليتيم إذا بكى اهتز له العرش...»، راجع ثواب الأعمال للصدوق: ٢٠٠.

الإمام الحسين (عليه السلام) حين وصل كربلاء أعلم أصحابه أن هذا الموقع هو موقع اللقاء التاريخي مع جحافل الباطل المعركة وفيه ستحتدم وستحدث أعظم منازلة في هذه الأرض المقدسة، وكان قد خطب فيهم وهم في الطريق إلى العراق قائلاً:

«إن الدنيا قد تَغيَّرت وتَنكَّرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صُبابة كصبابةِ الإناء وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل.

ألا ترون إلى الحق لا يُعملُ به وإلى الباطلِ لا يُتناهى عنه.

ليرغبَ المؤمن في لقاء الله فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا بَرَما».[1]

وقال (عليه السلام) في خطبة أخرى: **«الناس عبيد الدنيا والدين لَعِقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معائشهم فإذا مُحصِّوا بالبلاء قَلَّ الديّانون».**[2]

ولّما نَزَل في كربلا كتب رسالة إلى أخيه محمد بن الحنفية:

«أما بَعد فكأنَّ الدنيا لم تَكُن وكأنَّ الآخرة لم تَزل والسلام».[3]

هذه هي حقيقة كل إنسان حين يلتقي بالآخرة.

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ٣: ٢٢٤، البحار للمجلسي، ج ٧٥: ١١٦.
2- كشف الغمة للأربلي ج ٢: ٢٤١.
3- كامل الزيارات لابن قولويه: ١٥٨.

هذا هو نزول الحسين عليه السلام في كربلاء في الثاني من محرم الحرام، ومعه أهل بيته وأصحابه ونساؤه في كنفه وحمايته ولكن بعد أيام وإذا بالحوراء زينب عليها السلام تخاطبه ورأسه على رأس رمح طويل:

يا هلالاً لما استتم كمالا غاله خسفُهُ فأبدى غَروبا
ما تَوهَّمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدراً مكتوباً

ها هي العقيلة زينب تصف وجه الحسين بأنه (هلال) بعد أن كان بدراً مشرقاً، لكنها تريد أن تقول أن الدماء التي غطَّت هذا الوجه جعلته كالهلال.

يا أخي قلبك الشفيق علينا ما له قَد قسى وصار صليبا
يا أخي فاطمة الصغيرة كَلِّمها فقد كادَ قلبُها أن يذوبا[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

1- ينابيع المودة للقندوزي، ج ٣: ٨٦، البحار للمجلسي، ج ٤٥: ١١٥...

المحاضرة الثانية

«الليلة الثانية / محرم الحرام / ١٤٢٥»

مفهوم ثار الله

بسم الله الرحمن الرحيم

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وابْنَ ثَارِهِ والْوِتْرَ الْمَوْتُورَ».

حديثنا هذه الليلة عن هذا المقطع من زيارة عاشوراء.[1]

المعنى اللفظي للكلمات:

الثأر:

وهو عبارة عن استحقاق رد العدوان، ما يستحقه من جزاء وجواب، ولهذا يسمى ثأر الإمام الحسين عليه السلام ثأر الله، لان الله تبارك وتعالى اعتُدي عليه بقتل الحسين. إنّ الله له ثأر، وله استحقاق أن يأخذ من المعتدين. تقول: أريد ثأري حينما يُعتدى عليك، فثأرك ماذا يعني؟ يعني استحقاق الرد على عملية الاعتداء وأنت تملك هذا الإستحقاق.

وابن ثاره:

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو ثار الله أيضاً، لأنّ العدوان عليه هو عدوان على الله تعالى، ومن الحق أن يأخذ الله تعالى القصاص.

1- للوقوف على هذه الزيارة المباركة وما ورد عن الأئمة عليهم السلام في فضلها والحث عليها، راجع كامل الزيارات لابن قولويه القمي: ٣٢٨، مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٧٧٣، اللهوف لابن طاووس: ١٩٩ كما ذكر شيئاً من ذلك الشيخ القمي في كتابه «مفاتيح الجنان».

والوتر الموتور:

يعني الإمام الحسين كان وتراً موتوراً، واحداً متوحداً، قد استوحده الأعداء فهو وتر موتور، أي لم يؤخذ بثأره بعدُ.

هذا هو المعنى اللفظي، لكن عمق المعنى هو المهم لما تحويه هذه الكلمات: الحسين ثار الله وابن ثاره.

بحث عقائدي:

هناك بحث عقائدي أريد أن أنقلكم إليه وعلى مستوى العرض والتحليل المبسَّط، وتقديم بعض التصورات الأوليّة، كما هو عادتنا في هذا البرنامج حيث نحاول أن نقدم لكم أوراداً من الحديقة الإسلامية، في الفلسفة والقرآن والتاريخ باسم أهل البيت عليهم السلام.

هناك بحث مهم فلسفي عقائدي: هل أن الله تبارك وتعالى يخضع للتأثيرات النفسية؟

أنا وأنت من العباد نخضع للتأثيرات النفسية، ننفعل ونغضب حينما يُعتدى علينا ونفرح حينما يُحسَن إلينا وهكذا.

فهل يتأثر الله وهو جبار السماوات والأرض بهذه المؤثرات؟

يقول الفلاسفة: بما أنّه تبارك وتعالى واجب الوجود فإنه فوق التأثيرات، لا يؤثر به مؤثر، ولا يمكن أنه نتصور أنه ينفعل مثل انفعالاتنا، هذا لا يتناسب مع عظمة الله، ولهذا يقول الفلاسفة وعلماء الكلام: إن

الله لا يخضع للتأثيرات وكل ما يخضع للتأثيرات هو ممكن[1] والممكن مخلوق والله ليس مخلوقاً وغير ممكن، إذن لا يخضع للتأثيرات.[2]

إذا لم يخضع للتأثيرات فما معنى قولنا في الزيارة: يا ثار الله وابن ثاره؟

صحيح أن الله يختلف عن المخلوقين ولا يخضع للتأثيرات لكن الفهم القرآني يعطينا شيئاً أخر، والفهم القرآني يجب أن يكون هو الأصل عندنا.

إن القرآن _ قبل حديث الفلاسفة وعلم الكلام _ يتحدّث عن شيء آخر هو أن الله سميع وبصير.

يجب أن نبقى مع العطاء القرآني الذي يقول: إن الله يفرح ويغضب فكيف يفسره الفلاسفة؟

القرآن الكريم لا يصف الله تبارك وتعالى بأنه كيان منفصل عن المخلوقين جاف بعيد عن تفاعلات خلقه وكأنه جالس في معزل ومقصورة ولا يأخذ بعين الاعتبار أوضاع الناس. كلا، فان القرآن يصف الله بأنه رحيم، عطوف، حنّان، منّان، رزاق ،سميع، بصير، مجيب الدعوات وغافر الخطيئات.

1- يقسم الفلاسفة الالهيين الوجود إلى ممكن وواجب ويقصدون بالممكن ما لا يكون وجوده حتمياً ضرورياً بل هو ممكن الوجود وممكن العدم وهذا هو حال سائل المخلوقات. أمّا الواجب فهم يقصدون به الوجود المتعيّن الضروري الذي لا يقبل العدم وهو الله تبارك وتعالى.

2- لمزيد الإطلاع في تفسير معنى غضب الله تعالى ورضاه. راجع تفسير الميزان للطباطبائي ج ٩: ٢٢٧، ٣٧٦...

هذا يعني أن الله معنا في الحقيقة، مرّة يغضب ومرّة يفرح. روي عن النبي صلى الله عليه وآله:

«يا فاطمة إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[١] والقرآن الكريم يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.[٢]

إن الله إذن يتأذى.

الروايات تقول:

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«إن الله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها».[٣] فالله اشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها.

فما معنى كلام الفلاسفة: إن الله تعالى لا يتأثر بالمؤثرات، القرآن يتحدث بشكل والفلاسفة بشكل آخر.

لو بقينا مع حديث الفلاسفة، إن الله لا يتأثر بالمؤثرات وهو حديث صحيح من الناحية العلمية والفلسفية.

فانه يعني إنه تعالى لا يغضب، ولا يفرح، ولا يسمع، ولا يبصر...

1- المستدرك للحاكم، ج ٣: ١٥٤، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ٣: ١٠٧.
2- سورة الأحزاب: الآية ٥٧.
3- الكافي ج ٢ ص ٤٣٥ ح ٨.

لكن القرآن يعطينا القِيَم التي نحن نفهمها ونُدركها وينسبها إلى الله تعالى. الله سبحانه يصف نفسه بها: غفور، رحيم، شديد العقاب، مع أننا في الحوزة العلميّة والبحوث الفلسفية ندرس هذا الأمر ونقول أن الله تعالى لا يتأثر بالمؤثرات لكن نحن بحاجة إلى أن نسأل:

صحيح أن الله لا يتأثر، وهو واجب الوجود، لكن الله في الوقت ذاته سميع، بصير، يسمع ويبصر ويحب ويكره، ويرضى ويغضب وغير ذلك.[1]

يجب أن نقدم عطاءات، وتفسيرات تنسجم مع الطرح القرآني حتى في دراستنا الحوزوية، ولا نبقى على الطريقة اليونانية في دراسة الفلسفة، أو الطريقة المعتزلية في علم الكلام، ولهذا يجب أن نفهم قرآنياً أن الله تعالى يتفاعل مع الأحداث _ سمّه تأثراً، انفعالا أو أي شيء آخر، القضية لا ترتبط بالأسماء _ يتفاعل مع الواقع الحياتي للناس تفاعلا سلبياً أو ايجابياً، يتفاعل مع حزن عبده ومصيبته وصبره، هنا جاء فلاسفتنا وقاموا بعمليتي تأويل:

التأويل الأول: إن معنى «الله تعالى يغضب ويرضى» هو أن رسول الله يغضب ويرضى، ودليلهم قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2].

1- في كتاب التوحيد للصدوق: ١٦٩، ح ٣: (أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضا وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد عند المخلوقين، وذلك أن الرضا والغضب دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال، معتمل، مركب، للأشياء فيه مدخل وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه...، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، فإن ذلك صفة المخلوقين العاجزين...)...

2- سورة الفتح: الآية ١٠.

أي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يضع يده فوق أيديهم ويـــد الله تعني يد رسول الله. فهل هذا صحيح؟

لقد جاء هذا المعنى في بعض النصوص الشريفة[1] ولكن ليس بمعنى نفي الرضى والغضب عن الله، وكذلك نفي سائر الأفعال عن الله تعالى بل أن القرآن الكريم يصرّح بالقول:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[2].

هنا لا نستطيع أن نقول: ان رسول الله وحده هو الذي رمى لأن القرآن يقول صريحاً: ولكن الله رمى وليس أنت، هذا التأويل اذن لا مبرر له، فالصحيح أن يد رسول الله فوق أيديهم ويد الله فوق أيديهم أيضا، رسول الله رمى ظاهراً والله رمى في واقع الأمر أيضاً ، وهكذا (يرضى الله لرضاها) يعني هناك رضى الزهراء وشيء آخر هو رضى الله سبحانه، فإذا جعلت العملية عملية اندكاك بان اعتبرت رضا الله هو رضى الزهراء عليها السلام وليس هناك شيء آخر اسمه رضى الله فانه تحريف للنص، ولا يقبل به أي عربي يقرأ قوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها» أن الفهم الصحيح الذي يتكون عند كل من يسمع هذه النصوص هو ان الله تعالى له رضى، وغضب وغير ذلك ولا مبرّر لنفي هذه الصفات عنه تعالى، وعليه فان هذا التأويل الأول مرفوض جداً ولا يمكن قبوله.

1- راجع كتاب الكافي للكليني، ج ١: ١٤٥، ح ٦، وكتاب التوحيد للصدوق: ١٦٨، ح ٢ (باب معنى رضاه عزوجل وغضبه).

2- سورة الانفال: الآية ١٧.

التأويل الثاني: لكي لا ينـــزعج أرسطو وفلاسفة اليونان والاغريق وكانت وديكارت وإفلاطون وابن سينا _ يقول التأويل الثاني إن تأثر الله تبارك وتعالى وغضبه يعني عقوبته، ورضا الله يعني جنته،[1] فلا توجد حالة نفسية عند الله تعالى وانما المسألة هي مسألة ثواب وعقاب وجنة ونار، ومشكلة هؤلاء الفلاسفة هي أنهم يتصورون أن هذه الحالة النفسية لدى الله تعالى بالشكل. التي هي عندنا غير موجودة عنده تعالى، فمعنى يرضى إذن يثيب ويُنـــزل المطر، ويرزق وهكذا، ومعنى يغضب يعاقب ويحدث زلزال، وفيضان وبلاء ومرض وغير ذلك.

وهذا كلام لا يمكن قبوله ايضاً، لانه تعاملٌ مع الله تعالى على أسس جافة جداً لا يقبلها القرآن الكريم في جملة ما يطرحه من تصورات عن علاقة الله بعبادة، ولا يقبله، فان الله يغضب ويفرح ويستبشر بتوبة عبده وما شاكل. أما إن رضاه يعني الجنة والثواب فقط دون أي تفاعل ودّي مع العبد المؤمن فهو أمر يصطدم مع التعاطي الديني مع قضية الله تعالى. الحقيقة ان الجنّة هي نتيجة الرضا، والنار نتيجة الغضب الإلهي. أما أن نفترض عدم وجود شيء

1- لمزيد من الإطلاع على معنى غضب الله تعالى ورضاه راجع تفسير القرطبي، ج ١: ١٥٠، قال في تفسير قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم): ... ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة، فهو صفة ذات، وإرادة الله تعالى من صفات ذاته، أو نفس العقوبة...، راجع أيضاً تفسير الميزان للطباطبائي، ج ٩: ٣٧٦، في تفسير قوله تعالى: (رضى الله عنهم ورضوا عنه)، قال: ... وأما رضاه تعالى فإنما هو من أوصافه الفعلية ومن الذاتية، فإنه تعالى لا يوصف لذاته بما يصير معه معرضا للتغيير والتبدل... وإنما يرضى ويسخط بمعنى أنه يعامل عبده معاملة الراضي من انزال الرحمة و... أو معاملة الساخط من منع الرحمة وتسليط النقمة والعقوبة...

لدى الله وهو القدرة المطلقة التي تفرح للعبد إذا تاب، وتحزن إذا أصيب المؤمنون بمصيبة وإنما هي أمواج كونية تصير مرة زلزالاً، ومرة مطراً، ومرّة ناراً ومرّة جنة فأين الله؟ وهذا لا يقبله ظاهر القرآن أيضاً.

وعلى كل حال نحن مضطرّون لفهم أن الله تبارك وتعالى يتفاعل مع الإنسان _ سمّه انفعالاً أو تأثراً أو حالة نفسية، فان الله فوق هذه الحالات عندما يصف الله نفسه بالمتكبر، هل تستطيع أن تقول: أن متكبر يعني ضخم وعال جداً؟ كلا فان متكبر يعني التكبر بالمعنى الذي تعطيه اللغة العربية من دلالة، لكن ليس بالضرورة أن يكون بالطريقة الإنسانية حيث أننا نتأذى فنضعف، وهمّتنا تنهار، أو نصاب باحباط، والله ليس كذلك فانه يغضب ويفرح ولكن ليس على مستوياتنا وكذلك معنى متكبّر فانه ليس بالطريقة التي يُصاب بها الانسان وإنما بالمعنى الايجابي للتكبر وهو العلو والتفوق الحقيقي على الاشياء واستحقارها واستصفارها عند المتكبّر. والآن لنَعُد إلي النص القرآني والفهم الديني.

هذا النص النبوي: «فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.[1]

1- سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

يعني يوجد فعل صادر من الإنسان وفعل آخر مقابله صادر من الله تعالى، ولهذا يعطي القرآن الكريم رؤية لفهم هذه المصطلحات.

الله إذن يغضب ويحزن وله ثأر ومؤاخذة وانتقام وهو معنى ثار الله.

إذا تجاوز العبد على كبرياء الله وجبروته فان الله تعالى يثأر لكبريائه وجبروته، نعم نحتاج إلى صياغات كي يرضى بها الفلاسفة وعلماء الكلام، وهذا له مجالاته. أصل الفكرة هي هذه.

قصة بريدة الأسلمي:

الآية القرآنية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لها قصة هي أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ذات يوم جيشاً أمّر عليه أمير المؤمنين _ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يرسل جيشاً وفيهم أمير المؤمنين إلاّ وكان علي هو الأمير، ونحن نتحدى كل التاريخ أن يعطينا غزوة واحدة ومعركة واحدة وأن تكون سَرِيَّة واحدة فيها علي و لم يكن أميراً _ فلما انتهت المعركة، كانت هناك غنائم، ومن جملتها جوارٍ، اصطفى أمير المؤمنين عليه السلام لنفسه جارية، يعني اشتراها _ كما تقول الرواية _ بثمن لأنها راجعة للمسلمين فتباع فيعود ثمنها للمسلمين فمن حقه أن يشتريها بعد أن قيّمت بالقيمة المتعارفة فثارت ثائرة المنافقين _ هذه الرواية يرويها إمامنا العسكري،

وكذلك أصحاب الصحاح من أبناء العامة _ كما جاء في مسند أحمد بن حنبل[١].

جاء بريدة الاسلمي _ وكان من الذين كانوا تحت إمرة علي _ ووشى به عند رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله: أنت أمّرت علينا علياً، لكنه غير لائق بهذا الموقع، اشترى جارية ونحن في معركة، بينما شأن القائد هو أن يبتعد عن هذه القضية.

أعرض رسول الله صلى الله عليه وآله عنه إلى اليمين كما تقول الرواية، فجاء بريدة إلى يساره صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله علي هكذا صنع، أعرض صلى الله عليه وآله عنه إلى اليسار، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بان الغضب في وجهه، فجاء المسلمون وقالوا: يا بريدة إنك أغضبت رسول الله صلى الله عليه وآله، أما تسمع قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ما لك تؤذي رسول الله؟ فقال بريدة: يا رسول الله، ليس قصدي أن آذيك. قال صلى الله عليه وآله: أما علمت أن علياً مني، من آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله.

هذا يعني أن الله تعالى يتأذى، يفرح ويغضب، وهكذا توجد بعض الروايات في هذا الشأن.

1- انظر مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٤. ذخائر العقبى ص ٦٥، مسند أحمد ج ص ٤٨٣، المستدرك مسند أبي يعلى ج ص ١٠٩ صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٦٥، كنز العمال ج ص ٦٠، تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٨٣٧.

الحب والبغض في الله:

إذا كان الله تعالى يغضب ويتأذى فنحن أيضا نغضب لغضب الله ونتأذى لما يؤذي الله، نحب ما يحب الله ونكره ما يكره.

في الرواية عن إمامنا الباقر عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذ اجتمعت الخلائق في عرصات المحشر يقوم عنق من الناس ـ يعني جمع من الناس ـ فيقال لهم أدخلوا الجنة بغير حساب، فتتلقاهم الملائكة يقولون: ما كان عملكم في دار الدنيا؟ فيقولون: كنا نتحابّ في الله، ونبغض في الله».[1]

عملنا في الدنيا هو أن نحب من كان مع الله، ونبغض من كان عدوا لله، وهذا هو مقياس الإسلام، ودخول الجنة يكون على هذا الأساس.

ومجلسكم هذا على هذا الأساس أيضا، وإلا من الذي أجلسكم في مجلس الحسين؟ هو حبّ رسول الله وحبّ الله تعالى، لا يوجد غير هذا .

ولهذا يقال لكم يوم القيامة إن شاء الله تعالى: أُدخلوا الجنة بغير حساب.

يجب أن تكون عند المؤمن حالة العشق في الله، وحالة الغضب في الله وحالة ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾[2]. أما إذا كان في القلب حب وليس فيه غضب وبغض لأعداء الله فيجب أن يراجع الانسان نفسه.

الإمام الحسين عليه السلام على هذا الأساس الفكري، والعلمي كان ثار الله.

في الرواية عن علي بن الحسين عليهما السلام قال:

1- أمالي الطوسي: ١٠٣ ح ١٥٨/ ١٢.
2- سورة الفتح: الآية ٢٩.

«لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب...».[1]

هل يعني ذلك أن لرسول الله صلى الله عليه وآله محاباة مع عمه حمزة؟

كلا، إنه يعطينا عطاءاً ومدلولا ثقافياً، فان قوله يعني: أن عصبية حمزة ما كانت عصبية شخصية وإنّما كانت لله تعالى، ومعنى هذا إن كل عصبيّة لغير الله في النار.

إن عصبية قمر بني هاشم وعلي الأكبر وعابس وزهير ابن القين كانت لله. فتعصبوا للحق فان هذه العصبيّة لا يقال إنها منهي عنها، لابد من تعصب العبد لله. ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

إسلام حمزة:

إن قضية إسلام حمزة كانت عصبية لله تعالى، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلا* ناقة فملؤوا ثيابه بها ، فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عم كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له : وما ذا يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر ، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ

1- الكافي للكليني، ج ٢: ٣٠٨، (باب العصبية) ح ٥.
2- سورة الفتح: الآية ٢٩.
* السى بمعنى كرش الدابة التي يجتمع فيها الطعام قبل هضمه.

السيف وقال لحمزة: خذ السلا ثم توجه إلى القوم والنبي معه فأتى قريشا وهم حول الكعبة ، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه ، ثم قال لحمزة : أمر السلا على سبالهم ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم ، ثم التفت أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا ابن أخي هذا حسبك فينا. [١]

التعصب لله:

يجب أن نتعلم أن إحدى خصائص شيعة أهل البيت هي التعصب لله تعالى.

التشيع هو هذا، الغضب لله، فالإنسان الذي لا يغضب لله يكون إيمانه ضعيفاً.

خاطب أمير المومنين عليه السلام أباذر وهو يودعه إلى الربذة حينما قرر عثمان بن عفان تسفيره إليها:

إنك غضبت لله فارجُ من غضبت له.

وكان بامكان أبي ذر أن يجلس بالمدينة ويتعبد ويدرس بلا حاجة إلى أن تتبرم الخلافة منه ويهجّر من مكان إلى مكان، ولكن أباذر قد رباه رسول الله وعلي، قد بلغ الدرجة التاسعة من الإيمان وبلغ المقداد الدرجة الثامنة وسلمان الدرجة العاشرة كما تقول بعض الروايات، يا أباذر: ان القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك...

1- الكافي ج ١ ص ٤٤٩ ح٣٠، وفي بعض النسخ (على أسبلتهم).. وسبال جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر.. أو ما على الذقن إلى طرف اللحية.

يا أباذر لو أن السماوات والارض كانتا على عبدٍ رتقا ثم اتقى الله لجعل له من بينهما مخرجاً..[1] وذلك قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[2].

السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره، والوتر الموتور، يعني ان الحسين لم يكن يمثل قضية شخصية بل يمثل قضية الله، قضية الإسلام، قضية العدالة، لهذا فإن الله يغضب لغضب الحسين، ويرضى لرضا الحسين، ولهذا قال ذلك الغلام يوم عاشوراء: من مثلي وابن رسول الله واضعاً خدّه على خدي؟

يا أبا عبد الله أنت الآن تضع خدك على خد جون، بعد ساعة من الذي يقف عندك؟

عمل الحسين له وسادة من التراب، وضع خده عليها، لا ناصر له ولا معين وقال:

اللهم أنت ثقتي في كل كربٍ، ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقة وعدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة ويشمت فيه العدو، ويخذل فيه الصديق أنزلته بك وشكوته اليك ففرّجته عني، فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة.

إنا لله وإنا إليه راجعون

1- نهج البلاغة، ج ٢: ١٢، ك ١٣٠.
2- سورة الطلاق: الآية ٣.

المحاضرة الثالثة

«الليلة الثالثة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

مقامات أهل البيت

«عليهم السلام»

بسم الله الرحمن الرحيم

«فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ والْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا».

حديثنا هذه الليلة عن هذا المقطع من زيارة عاشوراء.

في هذا المقطع مجموعة مفردات:

الظلم، التأسيس، مقام أهل البيت ومراتبهم.

مجموعة مفردات تستحق الوقوف عندها، وبطبيعة الحال إننا نتناول هذه الموضوعات بالمقدار الذي نستطيع أن نلقي اضاءات مبسطة وواضحة ومعلومة لكي يكون المستمع عند دلالات ما يقرأ وما به يزور.

الظلم والعدالة:

الإسلام دين العدالة أساساً ومبني على رفض الظلم، وجوهر الإسلام كلمتان، جمعهما قوله تعالى:

﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.[1]

1- سورة البقرة: الآية ٢٧٩.

كل الإسلام هو هاتان الكلمتان ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

ولهذا حتى الكفر والشرك يمثل أعلى مستوى من مستويات الظلم، ولهذا فهو قبيح ومنهي عنه والإسلام يرفضه على أساس أنه قيمة أخلاقية ساقطة وظلم قبل أن يكون قضية اعتقادية، لأن الإسلام لا يحاسب على الاعتقادات ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1] فالمعنى الصحيح لهذه الآية أنه لا يمكن الإكراه على الاعتقاد، قد يُكره الظالم إنساناً على اعترافات لكنه غير قادر أن يكره قلبه، ولهذا فان محاسبة الإسلام على الكفر ليست على أساس أنه معتقد، بل لأنه قيمة أخلاقية سلبية، ولهذا يقول لقمان الذي آتاه الله الحكمة:

﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[2]

القضية قضية ظلم أو عدالة.

الكفر ليس ظلماً لله، بل للإنسان نفسه، الإنسان عبد لله تبارك وتعالى ويجب أن يستثمر العمر وصولاً إلى الجنة والسعادة ، فمن الظلم أن يصل إلى جهنم.

1- سورة البقرة: الآية ٢٥٦.
2- سورة لقمان: الآية ١٣.

أقسام الظلم:

الظلم ثلاثة أقسام: ظلم لا يُغفر، وظلم يُغفر، وظلم لا يُترك.[1]

هذه الجمل والمدارس ومجالس أهل البيت تذكرة لكم:

ظلمٌ لا يُغفر هو الشرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[2] إنه قمة الظلم.

وظلم يُغفر هو ظلم الإنسان فيما بينه وبين الله من معاص وذنوب، هذا الظلم يُغفر إن تاب الإنسان:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾.[3]

بعض الشباب يسأل أنا أُذنب فأتوب وأُذنب مرة أخرى هل يجوز أن أتوب مرة أخرى؟

الجواب: إن الله من صفاته أنه تواب، وهو يعني انه لا يتوب مرة واحدة عن الإنسان فقط بل يتوب عنه مرة بعد اخرى، ومن صفاته تعالى أنه غفار وهو صيغة مبالغة، يعني يغفر مرة وثانية وثالثة وعاشرة و... كلما تذنب وتتوب فان الله يغفر لك، هذا معنى (الغفار) وإذا تعودت على الاستغفار سوف تقلع عن الذنب، أما إذا لم يستغفر بين الذنبين فهذا ما تقول عنه الرواية:

1- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «... ألا وإن الظلم ثلاث: فظلم لا يغفر وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب...»، راجع نهج البلاغة، ج ٢: ٩٥، خ ١٧٦، والكافي للكليني، ج ٢: ٤٤٣، ح ١ (باب في أن الذنوب ثلاثة).

2- سورة النساء: الآية ٤٨.

3- سورة طه: الآية ٨٢.

«أربع يُمتن القلب، الأولى: الذنب على الذنب وكثرة مناقشة النساء ــ يعني محادثتهن ــ ومماراة الأحمق.. ومجالسة الموتى، فقيل له: يا رسول الله وما الموتى؟ قال: كل غني مترف».[1]

يعني لا توجد فاصلة توبة ولا يوجد استغفار، ولا يوجد ندم بل ذنب على ذنب فانه يميت القلب.

اما النوع الثالث من الظلم فهو وظلم لا يُترك: يعني هناك حساب بَعده وهو ظلمُ الناس بعضهم لبعض، في يوم القيامة يمكن أن ترضي الطرف الذي ظلمته، وقد لا يرضى ويأخذ من حسناتك ويكون همّاً لا يرضى بركعتين ولا بأربعة ولا صوم يومين ولا شهر كامل وهكذا يأخذ الحسنات حتى ينتهي دفتر أعمالك وتنتهي حسناتك. يقول الله كان هذا مظلوماً في الدنيا فعليك أن ترضيه، ولهذا يا أخوة قبل أن نصل إلى الآخرة يجب أن نتراضى مع بعضنا.

قصة رؤيا:

أحد السادة الاطياب[2] ــ كثير منكم يعرفه ــ نقل لي قبل عشر سنوات رؤيا في المنام أيام الشدة أيام طغيان صدام وحينها كنا في طهران قائلاً:

1- الخصال / الصدوق: ٦٥/٢٢٨.
2- هو سماحة السيد محمد صادق امام الجزائري حفظه الله.

يا سيد، رأيت في المنام كأننا في اجتماع في النجف في قاعة أشبه بمضيف محتشدة بالناس وكان الشيخ تقي (مؤذن صحن أمير المؤمنين) وأبو بكر وعمر جالسين، ورأيت أبا بكر يزحف نحوك ويقول :يا سيدنا اعفني حق جدتك فاطمة الزهراء وأنت لا تعفو عنه وتبتسم، ثم انتقلت إلى قاعة اخرى حاشدة بالناس ومرة أخرى جاء أبوبكر يزحف إليك ويقول ما قال فجاءه عمر بن الخطاب وأخذه من تلابيبه _ وكان غليظاً كما تقول الروايات وشديداً مع الزهراء _ قائلاً له اذهب ما حق فاطمة الزهراء؟

استيقظت صباحاً على هذه الرؤيا العجيبة، نحن في طهران، والرؤيا في النجف، ومعالم الصدق في الرؤيا واضحة وذهبت إلى أحد السادة الأجلاء[1] _ وأنا أعرفه في طهران أيضاً وهو من تلاميذ السيد الخوئي (قدس الله سره الشريف) وهو اليوم من علماء طهران أيضاً _ نقلت له الرؤيا ولم أذكر له اسمك، قال لي هذا السيد ماذا يكون ؟ قلت له هو عراقي قال: هذا السيد سياسي؟ قلت: نعم، قال: تفسير الرؤيا إن هذا السيد سيأتي يوم وينتصر وأهل السنة يتوددون له ويطلبون ودّه.

قبل عشرة أيام رأيت هذا السيد في صحن أمير المؤمنين عليه السلام قال: هل تتذكر الرؤيا سيدنا؟ قلت له: قصّها لي مرة أخرى، وقفنا عند قبر السيد الخوئي (رحمه الله) فاعادها لي ونحن الآن نشهد تفسير هذه الرؤيا.

1- هو سماحة العلامة السيد مهدي الخلخالي حفظه الله.

ومن اللطيف إن هذا السيد كان يوصيني قائلاً: أرجوك سيدنا لا تعف عن هؤلاء، لأنه لما رآني في المنام أبتَسم تصوَّر أني سأعفو عن هؤلاء، قال: الله الله في التشيع ولا تعفُ عن هؤلاء، على أية حال أذكر ذلك للاستبشار، ولست بصدد الحديث عن قضايا شخصية وأنا وأنتم نرجو من الله تعالى أن يعصمنا عن حديث الهوى والنفس.

الظلم الثالث هو ظلمٌ لا يُترك وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، يأتي المظلوم ويأخذ من حسنات الظالم حتى يوصله إلى موضع خطير يخلو فيه من الحسنات، هنا تأتي رحمة الله تبارك وتعالى، أتذكر أنه جاء في بعض الروايات: إن الله تبارك وتعالى يفتح باب الجنة على مصراعيها فيلتفت هذا المظلوم فيرى الناس يركضون إلى الجنة وهو مستمسك بهذا الرجل الظالم يأخذ من حسناته، يقول يا إلهي ما الخبر؟ يقول الله إذا أردت أن تتركه فاتركه، فيتركه ويدخل الجنة.

القرآن الكريم يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾[1]. لاحظوا ليس الأمن في القيامة من نصيب الذي آمنوا فقط بل بشرط أن لا يلبسوا إيمانهم بظلم، أما إذا صار الإيمان مختلطاً بالظلم فان هؤلاء ليس لهم الأمن.

1- سورة الأنعام: الآية ٨٢.

المناهج الدراسية:

من القضايا التي أذكرها لكم هي المناهج الدراسية التربوية مثلاً: إن مناهج أولادنا التي تدرس في المدارس ما تزال منحرفة بتمام الكلمة تاريخياً وعقائدياً وفكرياً، وكأن الوزارة لا يعنيها هذا الأمر وأولادنا يدرسون عن أبي سفيان وطارق ويزيد وكأنهم لا يعرفون أهل البيت.

من المسؤول عن ذلك؟

ما هو دور المعلم والمدرس؟

هذا النداء يشهد عليكم يوم القيامة: أيها المعلمون، أيها المدرسون، أيها الوزراء:

نحن يوم القيامة نشهد عليكم إننا قلنا، والشعب له موقف مع كل من يقصّر في نصرة الدين. أبسط ما يكون هو أن هؤلاء الطلاب علمَّهم نظام صدام ثلاثين سنة حينما يدخل المعلم ويقول المراقب: قيام، أن يقولوا: (يحيى البعث) والمفروض اليوم حينما يدخل المعلم بلا حاجة إلى قرار من بغداد، أيها المؤمنون أيها العراقيون لا تتعلموا أن هذه القضايا يجب أن تكون بقرار، إن قرار الوزارة ربما لا يأتي إلاّ بعد عشر سنين، إن أهل البيت أعطوكم القرار، الله أعطاكم القرار _ أن يكون شعار الطلاب: (الموت للبعثيين).

لماذا لا يعلّم المعلمون _ وهم شيعة أهل البيت _ الطلاب ذلك. هذه كلمات مسؤولة، هذه كربلاء وعاشوراء وتعني النصرة للدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحن جميعاً اتباع الحسين عليه السلام.

لا أعرف ماذا يدرّس الأستاذ الطلاب؟ تاريخ يزيد بن معاوية؟

لماذا لا نمتلك الجرأة ونغير القضايا بإرادتنا بدءاً من الشعار إلى الكتابة على السبورة؟

التأسيس للظلم:

«لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ والْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ».

الأمويون أسسَّوا، والحسين وأهل البيت أسسوا أيضاً، الأمويون أسَّسوا الظلم والطغيان، وأهل البيت أسسوا العدالة والكرامة.

التأسيس قضية مهمة يا أخوان، تعلموا أن تكونوا مؤسسين للحق وللسنّة الحسنة، ولهذا يقول الحديث الشريف:

«من اسنَّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص العامل بها شيئا من أجره، ومن اسنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص العامل شيئا من وزره»[1].

الأمويون _ سيما معاوية _ أسسوا قضايا سيئة، أسسوا سبّ علي بن أبي طالب، أسسوا الملك وحوّلوا الخلافة إلى ملك موروث.

1- الاختصاص / المفيد: ٢٥١، الفصول المختارة / المفيد: ١٣٦، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٣ / ١٤٥، وقد ورد الحديث بالفاظ مختلفة، فلاحظ.

جاء عهد معاوية وتحولت الخلافة إلى ملك كما يروي أصل السنّة دون أن يحركوا ساكناً، سكتوا أمام التحريف والظلم، إن كلمة (لا، تغيير، ثورة، أصالة واستقامة) غير معروفة عند غيرنا، الحسين عليه السلام أسس الحركة التصحيحية في داخل الواقع الإسلامي.

قاد رسول الله صلى الله عليه وآله عمليات جهادية أمام مشركي قريش واليهود.

الإمام علي عليه السلام دخل حروباً داخلية لكن هو المعتدى عليه، هم الذين بدؤوا، معاوية وطلحة والزبير.

الحسين في داخل الواقع الإسلامي هو الذي قاد الثورة التغييرية التصحيحة على من يحكم باسم الإسلام، وهنا كان الحسين عليه السلام مؤسساً لحالة جديدة، إذ أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت في مرحلة حرب مع المشركين واليهود والنصارى، وسيرة أمير المؤمنين كانت في حرب مع البغاة والذين خرجوا على إمام المسلمين، الإمام الحسين عليه السلام بدأ حرباً من نوع جديد، حرباً فيها خروج على الحاكم باسم الإسلام لكي يعلمنا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله».[1]

أي عملية تصحيح المنكر.

1- البحار للمجلسي، ج ٤٤: ٣٨١، مقتل الحسين لأبي مخنف: ٨٥.

الأمويون كانوا مؤسسين هم وأتباعهم[1]، وفي زماننا هذا كان المسيحي ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث من المؤسسين للظم وبيع شعوبهم وقتال داخلي لتحطيم الأمة الإسلاميّة، كان يراد لهذه الأمة الإسلامية أن يقودها إنسان مسيحي باسم الأمة العربية . البعثيون أتباع هذا المؤسس حشرهم الله معه في جهنم، وبئس المصير. ولهذا فإننا نسمي العصر العفلقي الصدامي بالعصر المظلم الأسود. ولهذا تعجبني هذه الأبيات التي يقرؤها هذا الطفل الصغير، واطلب منه أن يعيدها الآن لبيان انتهاء عهد العفلقية.

لــــو تريـــد تعـــيش بالـــدنيا أبي	العن البعثـــي بـــصلاتك عـــالنبي
يا مـــوالي اهتـــف بغـــيرة وحميـــة	راحت أيـــام الظلـــم والعفلقيـــة
ربنا واحد، دين واحد، نبي واحـــد	كلنا عا لخط العريض وعلي قائـــد
ويَّـــــه قائـــــدنا الحكــــــيم	نـــــسير في الدربــــه الـــــسليم
اهتـــــف بغــــــيره وحميــــــة	كلنـــــا تحــــــت المرجعيــــــة
يا مـــوالي اتحـــد ويـــه المراجـــع	وانتسب لأرض الأمير وصلّ خاشع
سيـــــستاني مرجعنــــا الأصـــــيل	عـــــن طريقــــه مـــــا نميـــــل
اهتــــــف بغـــــيره وحميّــــــه	كلنـــــا تحــــــت المرجعيّــــــة[2]

1- لا يخفى أنّ المراد هو أنّ الأمويّين شيّدوا بناء الظلم لأهل البيت عليهم السلام على الأساس الذي أسّسه أسلافهم في السقيفة، وأنّهم تجاهروا بالعداء لأهل البيت عليهم السلام والنصب لهم.

2- هذه الابيات كان ينشدها مع الجمهور يومياً طفل صغير قبل بدء برنامج المحاضرة، وذلك في التعبئة التي قادها سماحة السيد القبانجي ضد حزب البعث والبعثيين.

مقامات أهل البيت عليهم السلام:

«ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ».

إذن لأهل البيت عليهم السلام مراتب ومقامات ونعتقد إسلامياً أن لهم ثلاثة مقامات:

الأول: وجوب المودَّة.

الثاني: الإمامة الفكرية.

الثالث: الإمامة السياسية.

عن المقام الأول قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾.[1]

وعن المقام الثاني قول النبي صلى الله عليه وآله:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها».[2]

وكان يقول عن أهل بيته مخاطباً الناس:

«لا تعلّموهم فأنهم أعلم منكم»[3] وهذا معناه الإمامة الفكرية.

وعن الإمامة السياسية قول النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام:

«اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».[4]

1- سورة الشورى: الآية ٢٣.
2- أمالي الصدوق ص ٦١٩ ضمن ح ٨٤٣/ ١.
3- بصائر الدرجات ص ٦٩ باب ٢٢ ح ٦.
4- الهداية ص ١٤٩.

كان الناس يومئذ يعتقدون بأعلمية أمير المؤمنين لكن بعضهم يعادونه ويخذلونه، وحتى عمر بن الخطاب كان يؤكد على هذه القضية بقوله: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن».[1]

وهذا لا فائدة فيه إذا لم يترجم عملياً .

أول ما أسقطوا من هذه المقامات: الإمامة السياسية حيث قالوا: «لا تجتمع النبوة والإمامة في بيت واحد».[2]

فغصبوهم حقهم، وهم يعترفون به وابقوا على الإمامة الفكرية، ولهذا كانوا يقولون أيضاً: (أقضاكم علي)[3] وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله.

ثم جاؤوا إلى الإمامة الفكرية فأخذوها، لا يجوز حسب رأيهم أن يكون الإمام هو جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله بل لابد أن يجعلوا أئمة آخرين، فجعلوا الاوزاعي وابن أبي ليلى وأئمة المذاهب الأخرى حتى تنتزع الإمامة الفكرية من أهل البيت، ولكن هيهات فما تزال الإمامة الفكرية هي لأهل البيت وشيعتهم وعلمائهم.

1- دلائل الإمامة ص ٢٢.
2- الصراط المستقيم ج ٢ ص٢٨٤.
3- المناقب لابن لشهر آشوب، ج ١: ٣١٢.

ثم وصلوا إلى المودة، وأنتم تعرفون ماذا صنعوا بأهل البيت من الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وقادوا علياً عليه السلام مكبلاً، إلى سم الحسن، إلى ذبح الحسين عليه السلام هذه هي المودة في تفسير هؤلاء القوم!

ولهذا يقرر أمير المؤمنين عليه السلام الإمامة السياسية والفكرية ويحدث عن التاريخ الذي مضى عليه بعد أن تسلم الإمامة والخلافة عملياً حيث قام وخطب الناس الخطبة العصماء التاريخية المعروفة بـــ (الخطبة الشقشقية) التي يقول فيها:

«أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة _ يعني الخليفة الأول _ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً _ وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً»[1].

لعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، أولئك الذين خذلوا علياً والحسن والحسين، هؤلاء مهدوا لتسلّل الظالمين.

1- نهج البلاغة، ج ١؛ ٣٠، خ ٣.

قصة عبيد الله بن الحر:

أحد هؤلاء الممهدين عبيد الله بن الحر الجعفي، فالإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء التقى بخيام له ولزهير ابن القين، وجّه للاثنين رسالة التحاق فاستجاب زهير بن القين و لم يستجب عبيد الله، تقول الرواية إن الإمام الحسين عليه السلام أرسل له رسولاً ودعاه إلى الالتحاق به، فقال عبيد الله:

«والله إني ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيت يخرج لقتل الحسين. فعلمت أنه مقتول فما أحببت أن أشارك في قتل الحسين» فنقل ذلك إلى الحسين عليه السلام، فقام الحسين سيد شباب أهل الجنة ومعه الصبية والأطفال يمشي إلى خيمة هذا الإنسان المسكين الشقي، دخل إلى خيمته وجلس، كأن عبيد الله لم يعرف المسيرة العظمى فحاول أن يشاغل الحسين بكلمات ويتصور أن الحسين أهل أنس وكلمات ومزاح.

يقول: رأيت لحية الحسين سوداء كجناح الغراب فقلت له: يا ابن رسول الله أخضاب أم سواد؟ الحسين في عالم آخر وانظر بماذا يفكر هذا الرجل؟

قال الحسين: نحن أهل بيت يُسرع إلينا الشيب، يعني هذا خضاب، ثم قال: يا هذا إن عليك ذنوباً كثيرة _ حيث كان ممن شارك في قتال أمير المؤمنين _ هل لك من توبة؟ قال: وما هي يا ابن رسول الله؟ قال: تلتحق بي وتنصرني وأنت تعرف أن هذه معركة حق وباطل وأنا على حق.

هنا جاء شقاء هذا الإنسان، لا يسمح له أن يستمع إلى كلمة الحسين، يقول: فما رأيت منظراً أرق للقلب من حالة الحسين ومعه الصبية والأطفال

يطلب مني النصرة، قلت له: سيدي يا ابن رسول الله، إني ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيت خارجاً لقتالك وأنت مقتول يا ابن رسول الله، وإن نفسي لا تسمح بالموت أنا أخاف، أريد الحياة، ولكن هذه فرسي فو الله ما طلبت عليها أحداً إلا وأدركته كأن الحسين محتاج إلى فرس، إن ملائكة السماء بين يديه، إنه يريد تغيير الضمائر والقلوب ولا يحتاج إلى فرس.

قال له الحسين: أما إذا بخلت علينا بنفسك فلا خير لنا فيك ولا في فرسك، ولكن مع ذلك أنصحك أن تذهب من هذا المكان لأنك قريب من كربلاء حتى لا تسمع واعيتنا يوم عاشوراء، فانه من سمع واعيتنا ولم ينصرنا أهل البيت أكبّه الله في جهنم، انظروا ما هو مصير هذا الرجل الذي لم ينصر الحسين عليه السلام.

ذهبت الأيام وقُتِل الحسين عليه السلام وابن زياد أخذ يلاحق عبيد الله فلما ادركته خيل ابن زياد تذكر خذلانه للحسين وأظهر الندم فاصبح يقول:

فيا لكِ حسرةً ما دمتُ حياً ... تردَّدُ بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولاً ... أتتركنا وتزمع بالفراق
حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهف قلب حي ... لَهمَّ اليوم قلبي بانفلاق
ولو وآسيته يوماً بنفسي ... لنلت كرامة يوم التلاق[1]

1- مقتل الخوارزمي: ١ / ٢٦٦، البحار للمجلسي، ج ٤٥: ٣٥٤.

بدأ يتحسر ولكنه لا ينفع الندم والحسرة، ثم قتله ابن زياد.

وهذا نموذج آخر التقى معه الحسين في الطريق أيضاً وهو زهير ابن القين وأحدثكم عنه في ليلة أخرى.

لابد لنا أن نختم المجلس الآن. الشاعر السيد حيدر الحلي يستنهض صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه: أنت تعلم ما جرى في كربلاء.

أترى تجيء فجيعةُ بأمضَّ من تلك الفجيعة
حيث الحسين على الثرى خيل العدا طحنت ضلوعه
ورضيعه بدم الوريد مخضَّبٌ فاطلب رضيعه[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

1- راجع ديوان السيد حيدر الحلي.

المحاضرة الرابعة

«الليلة الرابعة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

الأمة بعد رسول اللّه

«صلى الله عليه وآله»

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ وآلَ مَرْوَانَ ولَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً ولَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ ولَعَنَ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ ولَعَنَ اللَّهُ شِمْرا ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وأَلْجَمَتْ وتَنَقَّبَتْ لِقِتَالِكَ».

حديثنا هذه الليلة عن هذا المقطع من الزيارة.

في هذا النص من الزيارة مجموعة مفردات نتحدث عنها:

الأمة، اللعن، السلم والحرب.

المفردة الأولى: الأمة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ما هي رؤية أهل البيت عليهم السلام للتاريخ الإسلامي؟

لتكن قضية الحسين هي المحور لهذا التحليل التاريخي.

كيف نفهم أن الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسارها صحيحاً مستقيماً أم انحرف عن الجادة؟

يعتقد أهل البيت أن مسار هذه الأمة وهذا الركب العظيم قد انحــرف عن الجادة بعد رسول الله، وهذه القــضية مترابطــة تاريخيــاً وسياســياً وعقائدياً، فمرة نتناولها من جانب تاريخي وأخرى من جانب عقائــدي مذهبي ومرة من جانب سياسي.

هناك اتجاه آخر يقول: إن الأمة بعد رسول الله كانت أمة مــستقيمة ثابتة مؤهّلة لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

يعني أن هناك نظرتين للأمة بعد رسول الله:

نظرة سلبية وهي نظرة أهل البيت عليهم السلام وهي نظرتنا إلى هذا اليوم، وهناك نظرة إيجابية ترى الوضع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جيداً كأحسن ما يكون. وحينما نتحدث عن النظرة السلبيّة لا نقــصد بالطبع نسيان نقاط القوة والإشراق لدى الأمة الإسلاميّة بعد رســول الله صلى الله عليه وآله والى ما بعد ذلك، وإنما نقصد النظرة السلبيّة من حيث يقيم المسار الذي اختارته الأمة، وطبيعة الأخلاقيّة التي حكمتها في تحديد موقفها من القضايا الكبرى في الإسلام كالإمامة مثلاً. كمــا أن النظــرة الايجابيّة لا تريد أن تنفي وجود نقاط ضعف لكنها ترى حال الأمــة في مجمل مسارها جيداً.

تولدت من هذه المدرسة الايجابيّة أفكار ومبادئ مذهبية من جملتــها مبدأ (عصمة الأمة) حيث أصبح اتباع هذه المدرسة يقولون: إن الأمة هي الخليفة بعد رسول الله، أمّا مذهب أهل البيت وهو مذهب الإمامة فهــو

يقول أن الأمة بعد رسول الله لم تكن معصومة لان الإمام هو المعصوم، وأن الأمة بعد رسول الله ليست لها الخلافة وإنما الخلافة للإمام المعصوم، أصبحت المسألة ذات لون مذهبي وبُعد تاريخي وسياسي.

رؤية أهل البيت هي أن الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله انحرفت، ولا يعني ذلك أن الجميع انحرفوا، بل المسار انحرف، فقد بقي الكثير من الاصالة والشهامة والفداء وبقي الإسلام، لكن هناك خروج من الجادة وانحراف.

ربما يقول البعض: إن هذه نظرة سوداء للأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فالأمة الإسلامية العظيمة التي رباها رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تصفونها بأنها غير كفوءة؟

الجواب إن هذا الأمر لا يصح أن نتعامل معه عاطفياً بل يجب التعامل معه علمياً فنحن اذا راجعنا تاريخ الأمم وجدنا أن موسى على نبينا وعليه السلام نبي من الأنبياء أولي العزم والخمسة العظماء بعد أن بلّغ قومه وتعب عليهم وآمنوا به سنين طويلة وصل إلى ساعة الفتح قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[1] أي ينتقلوا إلى تحرير فلسطين، قالوا وهم قوات منتخبة:

1- سورة يوسف: الآية ٩٩.

﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1]. لاحظوا: أنتَ وربك:

يعني هذا ليس ربنا وإنما هو ربك لماذا؟ لأنه العمل صار عملاً جهادياً فيه تضحية ودماء وحروب.

حينما يقص القرآن الكريم التاريخ لنا يضع أصابعنا على قضايا مهمة تكون بالنسبة لنا مفاتيح في التحليل، فلماذا نستغرب حين يقول قائل إن جمعاً كبيراً من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله أخطؤوا الجادة بعد وفاته؟ فهذا مثل ذاك، ولهذا قال موسى عليه السلام:

﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾[2].

يعني هارون فقط لا إثنان ولا ثلاثة.

ثم دعا عليهم قائلاً:

﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[3].

و لم يقل القوم الفاسقين لأنهم مؤمنون ولكنهم فاسقون قال تعالى:

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾[4].

1- سورة المائدة: الآية ٢٤.
2- سورة المائدة: الآية ٢٥.
3- سورة المائدة: الآية ٢٥.
4- سورة المائدة: الآية ٢٦.

هل كان التيه جغرافياً أي لا يعرفون الخارطة أم كان تيهاً سياسياً أي لا يستطيعون تغيير الواقع، المهم أنهم تاهوا أربعين سنة طريق دخول مصر ﴿فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

هذا نموذج أمة نبي من أنبياء الله ذوي العزم.

القرآن صريح في ذلك وهو يؤكد أن هذا التخلف والفسوق حدث مع وجود نبيهم بين ظهرانيهم.

نحن لا نقول مثل هذا في أمة رسول الله، بل نقول: انحرف جمع كبير بعده، أخطؤوا الطريق، لماذا نغفل عن عشرات الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله التي كانت تنبيء بهذا الأمر؟[2]

نماذج سلبيّة:

أعطيكم مفردات للتوضيح:

أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله حاكماً في المدينة المنورة بعد أن مضت سنوات على بدء الرسالة الإسلامية، مع ذلك نقيّم الواقع علمياً:

1- سورة المائدة: الآية ٢٦.

2- منها ما رواه المؤالف والمخالف من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» انظر صحيح البخاري – باب في الحوض، ج ٤ / ٨٧، ونحوه في صحيح مسلم، ج ١ / ١٥٠...

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي الجمعة والمسلمون خلفه فإذا دقت الطبول وجاءت القافلة بالبضاعة على اطراف المدينة وإذا هؤلاء ينسحبون عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لم يبق معه على رواية إلا ثمانية أشخاص فقط، وعلى رواية أخرى أحد عشر شخصاً وامرأة هي الزهراء عليها السلام وأحد عشر شخصاً منهم علي والحسن والحسين وسلمان.. الخ، في أقصى التقادير أحد عشر وامرأة.[1]

إذا لم تقبلوا هذا الأمر اقرؤوا قوله تعالى صريحاً حتى لا تقولوا هذه روايات الشيعة:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾.[2]

هذه تجارة، فكيف إذا صارت سجوناً وقتلاً واعتقالات فلا يبقى واحد.

هذا هو مستوى الأمة، إنها مستعدة لان تترك رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً يصلي، ويقطعون صلاتهم من أجل تجارة لا تذهب لو تأخروا وأكملوا الصلاة.

نموذج آخر:

قوله تعالى: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.[3]

1- انظر التبيان للطوسي، ج ١٠: ٩، تفسير الطبري، ج ٢٨: ٦٧...
2- سورة الجمعة: الآية ١١.
3- سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

هذا هو ما يحدثنا به القرآن الكريم صريحاً، فلماذا نستغرب إذا قال الشيعة أن الأمة انحرفت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

رؤيتنا هي رؤية القرآن: إن الأمة لم تكن مؤهلة لان تصبح قائدة العالم فلا يقول أحدكم إن الرسول صلى الله عليه وآله لم يستطع تربيتهم، المشكلة ليست في رسول الله بل في الناس، وبالاصطلاح المنطقي إن المشكلة في القابل وليست في الفاعل، ابن نوح هو الذي لم تكن له لياقة للهداية و لم تكن المشكلة في نوح عليه السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لا يُنسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون؟[1] يعني أن المشكلة ليست في الفاعل وهو الله تعالى وإنما المشكلة في القابل وهو البيضة.

قال له الإمام عليه السلام: نعم الله قادر ويمكن أن يجعل الكون في البيضة بشرط أن لا تكبر البيضة ولا يصغر الكون، وضرب له مثالاً أنت ترى الجبل بعينك دون أن يصغر الجبل ولا تكبر عينك. ولكن الذي سألت لا يمكن، البيضة لا تمتلك اللياقة والقدرة وليس عدم استطاعة الله.

1- التوحيد للصدوق: ١٣٠، ح ٩ – ١١.

هذا معنى ان المشكلة في القابل وليس في الفاعل. المشكلة إن الأمة لم تستوعب هذا الإسلام العالمي العظيم، هذا طبيعي فالأمم السابقة كانت كذلك، إلا عدد خاص هم ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1].

ومن هم السابقون؟ القرآن الكريم يقول:

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[2].

هل هذه الأمة معصومة؟

نعتقد إن الإمام هو المعصوم، ولكن النظرية الأخرى وهي نظرية أبناء العامّة حاولت أن تدمج نظريات حتى تؤسس نظرية كاملة هي أن الأمة معصومة، ووجهّت الإمامة والخلافة على خلاف الاتجاه الذي سارت به روايات النبي صلى الله عليه وآله ووصاياه:

«إني تارك فيكم الثقلين».[3]

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى».[4]

«أنا مدينة العلم وعلي بابها».[5]

1- سورة الواقعة: الآيات ١٠- ١١.
2- سورة الواقعة: الآيات ١٣- ١٤.
3- حديث الثقلين من جملة الأحاديث التي لا يشك مسلم في صدورها من النبي صلى الله عليه وآله... وهو يدل بوضوح على عصمة الأئمة عليهم السلام ووجوب إطاعتهم، كما يدل على بقائهم وعدم خلو الأرض منهم،... راجع مسند أحمد، ج ٥: ١٨١، المستدرك للحاكم، ج ٣: ١٤٨، البحار للمجلسي، ج ٢٣: ١٠٧.
4- الهداية ص ١٤٣.
5- أمالي الصدوق ص ٤٧٢ ح ٦٣٢/ ١١.

على اساس هذا الاتجاه وُضعت روايات في الأمة وعصمتها وخلافتها وما شاكل ذلك.

نحن نعتقد بعصمة الإمام، ولهذا نظريتنا ومبدؤنا هو نظرية الإمامـــة، مبدأ الإمامة، مذهب الإمامة وهي التي تمثل اليوم أكبر نقطة قوة في الدنيا وفي الآخرة كذلك، علي على الصراط وفي الدنيا أيضاً.

من ليست له إمامة، يكون حائراً وتائهاً في الدنيا وفي الآخرة أيضاً.

على هذا الأساس استحقت الأمة هذا التقييم: إنها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اضطرب حالها وتخلفت عن نصرة أهل بيته وجرى ما جرى في التاريخ.

ولهذا يقول شاعرنا:

يا أمة نقضت عهود نبيها	أفمن إلى نقض العهود دعاك؟
وصّاك خيراً بالوصي كأنما	متعمداً في بغـــضه وصّـــاك[1]

هذا التقييم نقرؤه أيضاً في زياراتنا وأدعيتنا الواردة عنهم عليهم السلام ففي دعاء الندبة المروي عن الحجة المنتظر عليه السلام نقرأ قوله:

«والأمة مصرّة على مقته _ يعني أمير المؤمنين عليه السلام _، مجتمعة علـــى قطيعة رحمه».[1]

1- من قصيدة للشاعر أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسين الحلي الشهفيني المعروف بابن الشهفية، من شعراء أهل البيت عليهم السلام، وهي واحدة من قصائدة السبع ذكرها الشيخ الأميني في كتابه الغدير، ج ٦: ٣٨٠.

مقتوا أمير المؤمنين (عليه السلام) «إلاّ القليل ممنَّ وفى لرعاية الحق فيهم، «فقُتل من قتل وسُبي من سبي واُقصي من أقصي وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة، إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».[2]

رواية أخرى:

قوم شعيب (عليه السلام):

أوحى الله إلى شعيب النبي (عليه السلام): إني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفا من شرارهم، وستين ألفا من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: أنهم داهنوا أهل المعاصي و لم يغضبوا لغضبي[3]» يعني لم يتناهوا عن المنكر.

وهكذا تنـــزل اللعنة على الجميع.

لعن الله أمة أسرجت وألجمت وتنقبت لقتالكم، كل هؤلاء سيشملهم العذاب اولئك الذين شاركوا في القتال ضد أهل البيت عليهم السلام.

المفردة الثانية: اللعن

1- المزار ص ٥٧٨.
2- المصدر السابق.
3- الكافي للكليني، ج ٥: ٥٥، ح ١.

وهو معنىً يتكرر في زيارة عاشوراء، ومع الأسف كان البعض يفكر بأن هذه القضية لا تتناسب مع الخُلق الإسلامي فحاولوا أن يحرفوا ويحذفوا هذا النص مجاملة للآخرين، وأحد القضايا التي فعلها صدام وحزب البعث هو منع وجود كتاب مفاتيح الجنان في الأضرحة الشريفة لأهل البيت عليهم السلام لأن فيها زيارة عاشوراء ذات الدلالات السياسيّة والتربوية الكبيرة، ففيها: «إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم... أبرأ إلى الله... لعن الله أمة» فيها معان ثورية تصب بصياغات عقائدية ولذلك من الأعمال التي سجلها نظام صدام صاحب الحملة الإيمانية المنافقة في التاريخ هو منع هذه الكتب الدينية حتى كتب الأدعية نظير الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين عليه السلام وهو الذي تفتخر به الأمة الإسلامية حتى لقّب بزين العابدين، على أية حال فانّ لعن بني أمية وآل زياد وآل مروان يتكرر في زيارة عاشوراء.

هنا سؤال:

إن الإسلام هو دين المحبة والسلم والصفاء فلا يتناسب اللعن مع ذلك وهو موقف متجهم مع الأعداء وغير سمح ومتصلب فما معناه؟

معناه: مكافحة الإرهاب، فاليوم العالم ينادي: يجب دعم حركة السلام، والوجه الآخر لحب السلام هو مكافحة الإرهاب.

اللعن يعني محبة المؤمنين ولعن أعدائهم ولا يمكن أن نصدق أن الإسلام هو دين المحبة بدون أن ينضم إلى جانب ذلك الوجه الآخر وهو العداء

لأعداء الله، وهم أعداء العدالة، والاخوة، والقيم الإنسانيّة، ولهذا وردت مفردة اللعن أكثر من أربعين مرة في القرآن الكريم ولو أردنا أن نحسب ما عدا ذلك من كلمات مرادفة للعن مثل الاستعاذة نجد:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.[1]

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.[2]

بل نجد أن القرآن الكريم يصف الله سبحانه وتعالى بأنه يلعن:

﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[3].

صحيح أن المؤمن لا ينبغي أن يكون لعّاناً للصديق والجيران والأجير والطالب، لكن اللعن حينما ينصب على من لعنهم الله فينبغي للمؤمن أن يكون بهذا الشكل: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

نحن نؤسس لمفهوم إسلامي بعيد عن المذاقات الشخصيّة، حينئذ من الطبيعي أن نلعن تلك الأمة التي قتلت ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، كما لعن داود وعيسى بني إسرائيل.

إذن هل نأبى أن نلعن بني اسرائيل؟

1- سورة الناس: الآية ١.
2- سورة الفلق: الآية ١.
3- سورة البقرة: الآية ١٥٩.

أو أمة انحرفت عن نبيها أو مجموعة كآل زياد وآل مروان أو بني أمية قاطبة؟

بالعكس يجب تأصيل روح المحبة والتفاني في الدين وتأصيل الوجه الآخر وهو العداء لأعداء الدين وأعداء الإنسانيّة أيضاً.

«أمَرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة» هكذا جاء في الحديث عن الإمام علي عليه السلام.[1]

بنو اميّة قاطبة:

لكن هناك سؤال يسأله كثيرون: وهو أن لعن ابن زياد وابن مرجانة وعمر بن سعد معقول، لكن لماذا بني أمية قاطبة؟

صحيح أن الدولة المروانية والأموية هي التي حشدت الناس ضد أهل البيت وضد الإسلام لكن لماذا اللعن عليهم جميعاً، ألا يوجد فيهم طفل وامرأة عجوز هي بريئة من اعمالهم؟

ألا يوجد في بني أمية رجل صالح، طفل، بنت وعجوز، لماذا هذا الإصرار من آل البيت عليهم السلام في البراءة واللعن منهم جميعاً؟

هناك تفسيران:

1- الكافي للكليني، ج ٥: ٥٨ ح ١٠.

الأول: مبدأ التغليب، يعني بما أن التيار الأموي كان منحرفاً فحينئذ ينصب اللعن على التيار الأموي، وليس المقصود كل واحد وكل طفل وكل امرأة .

الثاني: وهو الأقرب، أن المقصود هو الانتماء الحقيقي وليس الانتماء النَسَبي، يعني حينما نقول آل زياد، آل مروان وبني أمية قاطبة نحن لا نقصد الذين انتسبوا إلى زياد ومروان وأمية بالتناسب الذري، وإنما الذين انتسبوا إليهم انتساباً مبدئياً وروحياً وعقيدياً فكانوا شيعتهم وأتباعهم، واللغة العربية تنفتح على ذلك وتقول هؤلاء أبناء أولئك، ولهذا الإمام الحسين عليه السلام يصف الذين قاتلوه بقوله: يا شيعة آل أبي سفيان، وقال القرآن الكريم لنوح عن ابنه ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[1] نحن نتحدث عن البنوة الحقيقية لأمية بأنها بنوة ملعونة، البنوة الحقيقية لمروان وزياد انتساب مبدئي عقيدي وهي بنوة ملعونة، ولهذا أكون صريحاً وجريئاً ولي ثقة حينما أقول وأطلب منكم أن تقولوا:

«اللهم العن البعثيين قاطبة».

يمكن أن يكون الإنسان بريئاً من حزب البعث بينه وبين الله وسجلوا اسمه وهو بريء منهم، أنا لا أتحدث عن هذا بل عن بني صدام وعفلق والبعث، هؤلاء الذين يستحقون اللعن الحقيقي كما ألعن بني أمية قاطبة، ولهذا لا يجوز أن نفكر بالتسامح مع هذه العناصر الاجرامّية.

1- سورة الهود: الآية ٤٦.

أوثق عرى الإيمان:

سأل رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ذات مرة: ما هي أوثـــق عرى الإيمان؟

قال بعضٌ الصلاة، وقال بعضٌ الجهاد، وقال بعضٌ الحج؟ فقال صـــلى الله عليه وآله:

«لكل ما ذكرتم فضل وليس به، أوثق عرى الإيمان».

«الحب في الله والبغض في الله»[1].

أسأل الله أن يقسم لكم زيارة بيته الحرام.

فتحت أبواب الرحمة للعراقيين والحمد لله.

وهناك تقرؤون في زيارة النبي صلى الله عليه وآله:

«وإنك قد رؤفت بالمؤمنين، وغلظت على الكافرين».[2]

كان رسول الله صلى الله عليه وآله رؤوفاً بـــالمؤمنين وغليظـــاً علـــى الكافرين.

وإذا أراد أحدكم اليوم أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وآله يجب أن يكون رؤوفاً بالمؤمنين، غليظاً على البعثيين، وإذا كان في قلب أحدكم شيء من الرحمة فعليه أن يراجع إيمانه.

1- الكافي للكليني، ج ٢: ١٢٥، (باب الحب في الله والبغض في الله)، ح ٢.
2- الكافي للكليني، ج ٤: ٥٥٠، ح ١.

المفردة الثالثة: السلم والحرب

الموقف العملي هو ترجمة الإيمان والاعتقاد والارتباط بأهل البيت، هذه الترجمة عبارة عن كلمتين أو جملتين:

«سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ».

إذا كانت هذه الترجمة العملية غير موجودة فإنها تعني أن الإيمان ليس صادقاً.

القرآن الكريم الذي يجب أن نستهدي به دائماً في الاستدلال على ما نقول يؤكد في أكثر من موضع وموقف على الترجمة العملية فمثلاً يقول مرة:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.[1]

وأكثر منه:

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2] فبدون هذا لا يوجد إيمان.

ويقول مرة أخرى:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.[3]

1- سورة النساء: الآية ٦٥.
2- سورة النساء: الآية ٦٥.
3- سورة آل عمران: الآية ٩٢.

وإلاّ فليس هو البر الحقيقي وإنما شكل البر.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾[1].

ومرة ثالثة يقول القرآن الكريم:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾[2].

إنما المؤمنون: فيه حصر، يعني أن المؤمن الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حضر أو سلم أو سفر أو حرب أو صلاة لا يتركه. يقول القرآن انظروا إلى الترجمة العملية للإيمان.

كربلاء ترجمة الإيمان:

هذا الأمر تجسّد في كربلاء أيضاً، وزيارة عاشوراء تؤكد ذلك: «إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم» هو تأكيد لهذه الحقيقة.

الإمام الحسين عليه السلام التقى في طريقه إلى كربلاء بعدة كبار، منهم عبيد الله بن الحر الجعفي، وزهير بن القين.

حينما دعا زهير بن القين امتنع عن إجابته، تقول الرواية كان زهير على الطعام وإذا برسول لحسين عليه السلام على باب الخيمة يقول: إن ابن

1- سورة البقرة: الآية ١٧٧.
2- سورة النور: الآية ٦٢.

بنت رسول الله يدعوك، سقط ما في يده من الطعام، تلكـأ و لم يعـرف الجواب، لكن زوجته الصالحة قالت له: الحسين يدعوك وأنت لا تقـوم؟ ماذا تنتظر؟ اسمع ما يقول فإذا لم يعجبك ارجع، كانت كلمـة الحـسين معبرة والهداية كلمة.

قام زهير وجاء إلى الحسين (عليه السلام) وحدّثه ثم اختلى به وحدّثه حـديثاً خاصاً للحظات، رجع إلى الخيمة وقال لامرأته: الحقي بأهلك، أنا ذاهب مع الحسين (عليه السلام).

قالت: يا زهير ما هذا التحول السريع؟

قال: لما غزونا بلاد (بلنجر) كانت الغلبة لنا على القوم وكان سلمان الفارسي موجوداً وفرحنا بالغنائم، وقد فتحنا فتوحاً في تلك المعركـة _ يبدو انها كانت بعد رسول الله _ جاء سلمان يهمس في إذننا قائلاً: ليكن فرحكم بنصرة شباب آل محمد أكثر من فرحكم بغنائمكم هذه.[1]

ذكّر الحسين زهيراً بذلك ﴿إِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[2]

التحق بالحسين (عليه السلام) ويوم عاشوراء كان لزهير موقـف عظـيم خلـده التاريخ، وأنا الليلة أقف مع أصحاب الحسين معكم لننظر أجـواء كـربلاء. خرج الحسين (عليه السلام) بمئات من إتباعه من مكة المكرمـة إن لم نقـل الآلاف، التحق به كثير من أبناء القرى والقبائل والأعراب، كان ركباً عظيماً بحيث أن

1- انظر تاريخ الطبري، ج ٣: ٣٠٢، ومقتل الحسين لأبي مخنف: ٧٥.
2- سورة الذاريات: الآية ٥٥.

الحر الرياحي جاء بألف فارس وحينما التقى بالحسين كان الحسين (عليه السلام) يحمل من الماء ما يسقي جيش الحر مع خيولهم جميعاً، إذن الحسين كم له من العتاد؟ معنى ذلك أن الحسين كانت له قافلة عظيمة.

خيّرهم أكثر من مرة، في التخيير الأول بدؤوا ينسحبون عن الحسين وهناك تقول سكينة: كنت أراهم خمسة خمسة وعشرة عشرة يبتعدون عن أبي الحسين حتى لم يبق إلا هذه الثلة الصالحة وهؤلاء السبعون ونيف.

خيرَّهم الحسين (عليه السلام) مرة أخرى: إن القوم لا يطلبون سواي، فإذا ظفروا بي ذهلوا عن غيري، انتم في حل مني ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل واحد منكم بيد واحد من أهل بيتي، فوقعوا على قدميه يقبّلونهما، قال زهير: والله يا أبا عبد الله لو اعلم أني أقتل ثم أُحرق ثم أُذرّ في الهواء وهكذا يفعل بي ألف مرة لوددت ذلك دون أنفسكم.

لما رآى الحسين هذه المواقف العظيمة قال :اللهم إني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي.[١]

جاء الحسين إلى خيمة زينب عليها السلام _ مرة زينب تأتي إلى الحسين (عليه السلام) ومرة الحسين _ سألته عن أصحابه قائلة: إني أخشى أن يخذلوك عند الوثبة، قال: يا زينب إني قد خبرتهم وبلوتهم فلم أجد فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني.[٢]

1- مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٠٧.
2- مقتل الحسين للمقرم: ٢٦٢.

لكن مرة ثانية لم يستطع الحسين من دخول خيمة العقيلة زينب، كان ذلك لما رجع الحسين من العلقمي بعد شهادة العباس ولا ناصر لـــه ولا معين و لم يبق معه أحد، تقول الرواية إن الحسين وقف خلـــف الخيـــام يكفكف دموعه وهو يقول:

يا زينب يا أم كلثوم يا رباب عليكم مني السلام.[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون

1- البحار للمجلسي، ج ٤٥: ٤٧.

المحاضرة الخامسة

«الليلة الخامسة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

الارتباط بالإمامة الشرعيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

أدعية زيارة عاشوراء:

حديثنا في هذه الليلة عن الأدعية الواردة في زيارة عاشوراء حيث ان الزيارة تتألف من قسمين:

القسم الأول تحية وزيارة، وتأكيد مفاهيم وروى، ومبادلة محبة ومودة مع أهل البيت عليهم السلام.

والقسم الثاني مبثوث في داخل الزيارة وهو قسم الدعاء.

ان جميع الزيارات لا تخلو من الدعاء لأن هذه المشاهد المشرفة مشاهد عروج إلى الله تعالى، فنحن حينما نزور نريد الالتقاء والعروج إلى الله تعالى وطلب الحوائج منه، ولهذا تجدون في كل زيارة دعاءا.

هذه الأدعية بعضها مبثوث في وسط الزيارة وبعضها مقطع خاص بعد الزيارة ، فمثلاً بعد زيارة أمير المؤمنين عليه السلام هناك دعاء خاص، وهكذا بعد زيارة الجامعة الكبيرة وزيارة الإمام الرضا عليه السلام. كما أن هناك دعاءاً خاصاً بعد زيارة عاشوراء أيضاً وهو الدعاء المهم المعروف بدعاء علقمة نسبة إلى صاحب الرواية.

ثمانية أدعية:

زيارة عاشوراء فيها ثمانية أدعية مهمة تلخّص كل أهدافنا للدنيا والآخرة:

الدعاء الأول: «أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ».

الدعاء الثاني: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عليه السلام».

الدعاء الثالث: «وثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عليه السلام».

الدعاء الرابع: «وأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ» وهذا مكرر في فقرة أخرى من الزيارة.

الدعاء الخامس: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ومَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ».

الدعاء السادس: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ».

الدعاء السابع: «وأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ».

الدعاء الثامن: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ ورَحْمَةٌ ومَغْفِرَةٌ».

هذه الليلة نتحدث عن أحد تلك الأدعية الواردة في زيارة عاشوراء:

«أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ».

وهنا أكثر من فقرة للحديث:

الفقرة الأولى: الكرامة والإكرام

ما هي الكرامة؟ كيف أكرمنا الله تعالى به؟

الفقرة الثانية: الإمام المنصور من هو؟ وكيف؟

الكرامة والإكرام:

أما الكرامة فنحن نعتقد _ وفقاً للمفهوم الإسلامي الديني القرآني _ إنها ليست هي مُلك الدنيا وأموالها ولهوها ولعبها وإنما هي شيء آخر، هي الكرامة التي عند الله؟ بأن يكون هذا الإنسان مكرماً ومعززاً حتى وإن كان فقيراً مسبياً وسجيناً ومريضاً ومطروداً من قبل الناس، ولهذا تتذكرون قصة الإمام الهادي عليه السلام عندما حجزه المتوكل العباسي في خان يسمى خان الصعاليك، أي وضعه في خربة يوضع فيها المنبوذون من الناس، مثل (المحجر) باصطلاحنا، دخل عليه أحد أصحابه وتألم كثيراً، هذا الإمام حجة الله في الأرض موضوع في هذا المحجر المهين الذي هو للناس الذين لا شأن لهم في المجتمع؟

عرف الإمام أن هذا الشيعي تألم كثيراً فقال له: يا فلان لا تتألم، تحسب أننا في خان الصعاليك وذلك لا يناسب مقامنا؟ هذه دنيا ولهو ولعب، أنظر إلى الأعلى ماذا ترى، وإذا بها الجنة وبساتينها وأنهارها وحورها قال الإمام: أينما كنا نحن هذا مكاننا.[1] «حيث كنّا فهذا لنا عتيد، لسنا في خان الصعاليك».

الكلام يجر الكلام سنة ١٩٧٩ حينما كنا في سجن بغداد مع آلاف السجناء من علماء الدين وغيرهم وكان المكان لا يسعهم وكان معي مجموعة من السجناء الذين يصيبهم الأذى الكثير فيرسلونهم إلى المستوصف أو المستشفى من جراء التعذيب الوحشي الشديد، ونتيجة لأصابة أصابتني في أمن النجف حيث انكسرت يدي بأول ضربة بعصا غليظة ضربني بها الجلاد، والحمد لله على هذه النعمة وهذا الشرف قرروا أن يجبروا الكسر فقال لي أحد القائمين على معالجتي: أليس حرامات أنت شاب ــ وكنت آنذاك في الخامسة والعشرين من العمر ــ تورط نفسك في السجون؟

لم أستطع أن أتكلم معه حتى لا أدخل معه في جدل والرقابة الأمنية محيطة بنا فأنشدته هذا البيت:

1- انظر بصائر الدرجات للصفار: ٤٢٦، ح ٧ و١١، الكافي للكليني، ج ١: ٤٩٨، ح ٢. من المفيد هنا نقل نصّ الرواية من أصول الكافي «عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن الهادي عليه السلام فقلت له: جُعلت فداك في كل الأمور أرادوا...» أنظر النص الكامل.

قالت الضفدع قولاً فسرته الحكماء   في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

يعني اني لا أستطيع أن أتكلم معك والجلادين يحيطون بي.

ما هي قيمة الدنيا حتى يطلب الإنسان العافية ويخسر دينه وآخرته، العافية انما تُراد للآخرة والنجاة من النار، الشاهد أن الكرامة هي الشرف من الله تعالى الذي يعطى للإنسان وهو الإسلام ، وعمق الإسلام هو الإيمان، وما عداه: مال وبنون، وقناطير مقنطرة ليس بشيء، ولو كان له قيمة لكان الأثرياء أكرم من الأنبياء، والظالمون أكرم من المؤمنين.

القرآن يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

كيف أكرمنا الله تعالى بالحسين عليه السلام؟

نحن الآن مكرمون، اشكروا الله على هذه النعمة، إن الله أكرمكم، وشرفكم بنعمة محبة أهل البيت عليهم السلام، الله تعالى أكرمنا أعظم الكرامة بمحبتهم، وهذا معنى يرسخه الإسلام، هذا المعنى غير موجود عند أهل الدنيا وموجود في الإسلام، بحيث إن العقيلة زينب، وهي امرأة في عالم السبي تقول للمتكبر يزيد: القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة.

[1]- سورة الحجرات: الآية ١٣.

ليأت قادة العالم ويتعلموا من هذه المدرسة، ليأت غاندي وكاسترو وغيفارا الذين يزعمون أنهم أبطال التحرير ليأتوا إلى الإسلام وينظروا ما فيه من معان. أي كرامة أعظم من كرامة الإيمان بأهل البيت وولايتهم؟

الولاية شرط قبول الأعمال:

أحضرت لكم مجموعة روايات، ربما نستفيد من رواية واحدة ، عقد علماؤنا بحثاً خاصاً وفصلاً مستقلاً في كتب الحديث لمفهوم: (أن العبادة لا تقبل إلا بولاية أهل البيت عليهم السلام) وذكروا في هذا الفصل روايات متواترة ولا يمكن إنكارها، وثابتة عند الفريقين _ الشيعة والسنة _.

يعقد الشيخ الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة /٢٠ مجلدا) فصلاً خاصاً هو: باب بطلان العبادة بدون ولاية الأئمة عليهم السلام واعتقاد إمامتهم. وأنا أحاول أن انقل لكم الآن بعض تلك الروايات الشريفة:

الرواية الأولى: وهي من حيث السند صحيحة «رواتها ثقاة، عدول ومن كبار الرواة»:

عن محمد بن يعقوب الكليني، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر الإمام الباقر عليه السلام يقول :

«كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير، والله شانئ _ يعني مبغض _

لأعماله ـــ إلى أن قال ـــ وإن مات على هذه الحال مـــات ميتـــة كفـــر ونفاق، واعلم يا محمد: أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح...»[١].

الرواية الثانية: في رواية أخرى عنه عليه السلام أيضا: «**...** أما لو أن رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره و لم يعـــرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان»[٢]**...** أمثال ابن تيمية وبن بـــاز هؤلاء لو عبدوا طول عمرهم وهم أعداء لأولياء الله ما قيمة تلك الصلاة والعبادة؟

في رواية ثالثة عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال:

«من لم يأت الله عز وجل يوم القيامة بما أنتم عليه لم تقبل منه حسنة، و لم يتجاوز له عن سيئة»[٣].

في رواية رابعة عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال لأبي حمزة الثمالي: «أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلـــم، قال: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ـــ إلى جانب الكعبة بـــين مقـــام إبراهيم والحجر الأسود ـــ ولو أن رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف

1- الوسائل ج ١ ص ١١٨ ح ٢٩٧- ١ (ط: آل البيت).
2- الوسائل ج ١ ص ١١٩ ح ٢٩٨- ٢ (ط: آل البيت).
3- الوسائل ج ١ ص ١١٩ ح ٢٩٩- ٣ (ط: آل البيت).

سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار، ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً»[١].

في الرواية الخامسة يقول الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٢] قال: «ألا ترى كيف اشترط و لم تنفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل ما قُبل منه حتى يهتدي، قال: قلت: إلى من جعلني الله فداك ؟ قال: إلينا»[٣].

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً كما يقول الحر العاملي.

قبل حوالي ثلاثين سنة أو أكثر كنا نقرأ هذه الأحاديث مع سيدنا وأستاذنا مفجر الثورة الإسلامية في العراق أية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (أعلى الله مقامه) ... كان يقول رحمه الله لا يمكن التخلص من هذه الروايات فلا تقبل الأعمال بدون ولايتهم. حسب استنتاج الفتوى من هذه الروايات تكون الولاية من شروط صحة العبادة، كما أن من شروط صحة الصلاة الطهارة والاطمئنان واستقبال القبلة، والحقيقة أن استقبال الكعبة إذا كان شرطاً في صحة الصلاة فلماذا لا يكون الاستقبال المعنوي نحو الإمامة الشرعيّة التي اختارها الله تعالى للعباد

1- الوسائل ج ١ ص ١٢٢ ح ٣٠٨-١٢.
2- سورة طه: الآية ٨٢.
3- وسائل الشيعة ج ١ ص ١٢٤ ح ٣١٥-١٩.

شرطاً في صحة العبادة، ان الولاية في واقعها هي الاستقبال في حركة السير المعنوي بالاتجاه الصحيح الذي حدّده الله تعالى.

على كل حال هذه كرامة من الله تعالى بأن رزقنا ولايتهم.

كرامة الشيعة:

في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنه قال:

«يا علي ـ ونحن شيعة أهل البيت بيننا وبين علي علاقة خاصة ، ورسول الله أيضاً كانت له علاقة خاصة مع علي، والله عنده علاقة خاصة أيضاً مع علي، ولهذا في المعراج يقول الرسول صلى الله عليه وآله:ما كنت أتقدم في سماء حتى أرى صورة علي، سألت الله تعالى عن ذلك فاجابني أن الملائكة مشتاقين لرؤية علي فعملت صورة لعلي في كل سماء ـ ألا أبشرك قال: بلى يا رسول الله قال: هذا حبيبي جبرائيل يخبرني عن الله جل جلاله أنه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال ـ إن الله تعالى أكرمكم بسبع خصال لو أن كل الدنيا من آدم إلى يوم القيامة أخذت منكم مقابل واحدة من هذه الخصال فأنتم الفائزون، ولو أن كل الدنيا إلى يوم يبعثون أعطيت لكم بما فيها وسلبت منكم خصلة من الخصال السبعة فانّ ذلك هو الخسران المبين ـ:

الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس من الأمم بثمانين عاماً»[1].

أليست هذه كرامة؟

ولهذا وصف الإمام الحسين (عليه السلام) أصحابه يوم عاشوراء بعد أن أقام بهم الصلاة قال:

«يا كرام _ إنه أعظم وصف بأن يكون الإنسان مكرماً من قبل الله تعالى _ هذه الجنة قد فتحت أبوابها، واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم، ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيه، وذبوا عن حرم رسول الله.

فقالوا: أنفسنا لك الفدا يا بن رسول الله _ هنيئاً لهم هذا الشرف العظيم _ فوالله لا يصل إليك وإلى حرمك سوء وفينا عرق يضرب»[2].

ونقرء في الأدعية اليومية في السلام على صاحب العصر والزمان بعد الفجر:

1- أمالي الصدوق ص ٤١٦ ح ٥٤٨-١٥.
2- أسرار الشهادة: الآية ١٧٥.

«اللهم فكما شرفتني بهذا التشريف، وفضلتني بهذه الفضيلة، وخصصتني بهذه النعمة فصلِّ على سيدي ومولاي صاحب الزمان واجعلني من أنصاره وأشياعه والذابين عنه، واجعلني من المستشهدين بين يديه...»[1].

أي كرامة!؟ أي تشريف؟ إنه زيارتهم ومودتهم ومحبتهم.

طلب الثار:

المقطع الثاني من الدعاء: أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور:

تحدثنا فيما سبق من محاضرات عن الثأر الإسلامي في مقابل الثأر الجاهلي.

حديث الليلة يكون عن فكرة إمام منصور، نحن نريد أن نجاهد ونقاتل وندافع عن الدين بين يدي إمام منصور من الله، لا يخفى عليكم أن معنى «بين يدي إمام» ليس بالضرورة أن يكون في زمانه فهؤلاء الذين يستشهدون في زمان الغيبة هؤلاء الصالحون الأبطال والمجاهدون قد استشهدوا بين يدي صاحب العصر والزمان، أي أمامه زمنياً، وليس بالضرورة أمامه مكانياً، في كل منطقة خلال هذه القرون هو بين يدي صاحب العصر والزمان.

1- المزار لابن المشهدي: ص ٦٢٢، عنه البحار للمجلسي، ج ٩٩: ١١٠.

مع إمام منصور ... توجد نظرية ومفهوم يؤكده الإسلام وأهل البيت بالخصوص، نظرية الالتحاق بالإمام والإمامة، وإن كل عمل بدون إمام وإمامة لا جدوى فيه، الروايات أيضاً متفق عليها:

«من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».[1]

الروايات الموجودة عند أبناء العامة تتضمن الفكرة نفسها:

«من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[2].

أي بيعة في أعناقكم؟ لحسني مبارك، لأنور السادات، لصدام، لملك حسين؟

من هو إمامكم؟ إمامنا واضح ونواب أئمتنا أيضا واضحون.

مع إمام منصور... يعني لابد من معية ونقرأ في الزيارة والأدعية خصوصاً في الصلوات الشعبانية التي يستحب قراءتها: «اللهم صل على محمد وآل محمد، شجرة النبوة، وموضع الرسالة... المتقدم لهم مارق، واللازم لهم لاحق والمتأخر عنهم زاهق».[3]

فاللازم لهم يعني لابد من معية وارتباط فبدون ارتباط لا جدوى في العمل ، والحق لا يقيمه على الأرض إلا أهل الحق، ولذا من الأسرار العجيبة أن أقام شيعة أهل البيت أعظم دولة في العالم الإسلامي بعد ألف وأربع مائة سنة، ضيّقوا عليهم ولاحقوهم عبر مئات السنين لكن مشيئة الله كانت أن إمبراطور

1- كمال الدين ص ٤٠٩ باب ٣٨ ح ٩.
2- صحيح مسلم، ج ٦: ٢٢، المعجم الكبير للطبراني، ج ١٩: ٣٣٥.
3- مصباح المتهجد للطوسي: ٤٥، ٥٨ / ٣١.

الشرق الأوسط (الشاه) قد أسقطه عالم من علماء شيعة أهل البيت وهو الإمام الخميني الذي انطلق في حركته من مسجد صغير ومتواضع من مسجد الشيخ الأنصاري ومن مدينة النجف الأشرف.

وقد جاءت الفكرة في نص آخر من الزيارة بعبارة أخرى: «مع إمام هدى ظاهر ناطق بالحق منكم» وإمامنا المنصور عليه السلام هو إمام هدى حي.

نعتقد أن نهاية هذا المسار هو الانتصار، وإن العاقبة للمتقين ففي الرواية: «ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[1].

لا نستطيع أن نتحدث كيف يكون منصوراً، أنا أدري أن قوى الاستكبار العالمي في هذا الزمان نبحث عن أسلحة هذا الإمام المنصور ويفكرون في ماهية الأسلحة والتقنية التي سيستخدمها هذا الإمام حتى يصنعون أسلحة ضدها، ولكنهم في غاية الجهل، يتصورون أن الإمام سيقابلهم بصواريخ عابرة القارات.

أريد أن أقف عند فكرة (منصور)، إن ثقتنا بالنصر وأن الله ناصرنا قضية مهمة جداً.

أصلاً نحن لا نشك أبداً في كل الأحوال، في السراء والضراء إننا على المحجة الواضحة والنصر والعاقبة لنا وللمؤمنين، ولهذا نجد في الدعاء المعروف بدعاء الندبة تتأكد فكرة المنصور:

1- كمال الدين: ٣٧٧، باب ٣٦، ح١، وروى نحوه في مسند أحمد، ج ١: ٩٩، سنن الترمذي، ج ٣: ٣٤٣، باب ٤٤، ح ٢٣٣١ – ٢٣٣٢.

«أين المرتجى لازالة الجور والعدوان... أين معز الأولياء ومذل الأعداء... أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلا، أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى، أين المضطر الذي يجاب إذا دعى...».[1]

مسلم بن عوسجة في كربلاء:

كان الإمام الحسين يوم عاشوراء كلما يسقط واحد من أصحابه يأتي إليه ويجلس عنده، هذا مسلم بن عوسجة، أحد أبطال كربلاء لما سقط صريعاً أقبل إليه الحسين مع حبيب بن مظاهر الأسدي، قال له حبيب:

والله لولا أعلم إني على الأثر لأحببت أن توصيني بوصاياك، فأشار مسلم وهو بتلك الحالة من الالام والجراح إلى غريب كربلاء، يعني يا حبيب أنا ما عندي وصية، وإنما أوصيك بهذا الغريب.[2]

نذرٌ علي لئن عادوا وإن رجعوا لأزرعنّ طريق الطف ريحانا
بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا وخلفوا في سويدا القلب نيرانا

إنا لله وإنا إليه راجعون

1- إقبال الأعمال لابن طاووس: ٥٠٩.
2- راجع ما ورد في مقتله (رضي الله عنه وأرضاه) كتاب مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٣٦.

المحاضرة السادسة

«الليلة السادسة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

التأسي بهم في الحياة والممات

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ومَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ».

حديثنا في هذه الليلة عن مقطع آخر من مقاطع زيارة عاشوراء يتضمن دعاءاً _ حيث أن زيارة عاشوراء تتضمن مجموعة أدعية كما شرحنا سابقاً _ وهو قوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ومَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ».

الأدعية التفصيلية والاجمالية:

الأدعية على قسمين: أدعية تفصيلية، وأدعية إجمالية.

الأدعية التفصيلية مثل قوله: «اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد عليك صل على محمد وآل محمد واجعل النور في بصري والبصيرة في ديني واليقين في قلبي والإخلاص في عملي والسلامة في نفسي والسعة في رزقي والشكر لك أبدا ما أبقيتني».[1]

1- الكافي للكليني، ج ٢: ٥٥٠، ح ١٣.

أو «اللهم لا تدع لي ذنباً إلاّ غفرته، ولا همّاً إلاّ فرجته».[1]

الأدعية التفصيليه تذكر حاجات الإنسان بشكل تفصيلي.

وهناك أدعية إجمالية تحمل مطالب الإنسان في الدنيا والآخرة في جمل مختصرة كهذا الدعاء الذي نقرؤه في زيارة عاشوراء:

«اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد، ومماتي ممات محمد وآل محمد».

إن كل حاجاتنا في الدنيا والآخرة موجودة في هذا الدعاء.

نحن نريد أن يكون محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، فكل الحسنات مجتمعة في محياهم ونطلب كل الحسنات، وكل الحسنات مجتمعة في مماتهم ونحن نطلب ذلك الممات بشكل تفصيلي.

كيف يصبح محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم؟ ربما لا نستطيع أن نستوعب ذلك بشكل تفصيلي.

لكن الله هو الذي يعلم بذلك ولهذا نقرأ في بعض الأدعية اشارة إجمالية مثلاً:

«ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولي فيها صلاح إلا قضيتها»[2] بشكل إجمالي، كل حاجة أنت ترضى عنها و فيها صلاح لي اقضها لي.

كما نقرأ في الأدعية الإجمالية:

1- مصباح المتهجد للطوسي: ٦١.
2- الصحيفة السجادية: ٣٠٧، من دعاء للإمام السجاد عليه السلام في وداع شهر رمضان.

«وان تفعل بي ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا أهله».[1]

يعني كل شيءٍ يا إلهي يليق بكرمك وجلالك أنت افعله بي كالعافية، والرزق و الإيمان، وأيّ شيءٍ يليق باستحقاقي كالأذى والعقوبة وآثار السيئات ادفعه عني أيضاً.

هل يمكن أن يكون محيانا محيا الإمام الصادق، وزين العابدين وعلي ابن أبي طالب عليهم السلام؟

إن الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام هو يقول: أين عبادتي من عبادة جدي أمير المؤمنين؟[2] فكيف نطلب نحن أن يكون محيانا محيا أئمتنا، الإمام علي، أو الإمام الصادق عليه السلام؟

لابد أن نقول: لا يمكن ذلك ولكن الموقف ما هو؟

وأمير المؤمنين يقول أيضاً: لا يمكن لكم ذلك حيث يقول:

«ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد، وعفةٍ وسداد»[3] أي أن الباب لا يَصح أن يُغلق لمجرد اننا لا نستطيع أن نكون بمستواهم، بل هناك موقف إسلامي مطلوب فما هو ذلك الموقف؟

1- تهذيب الأحكام للطوسي، ج ٣: ٧٢.

2- قيل لعلي بن الحسين عليه السلام: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتي عند جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١: ٢٧.

3- نهج البلاغة، ج ٣: ٧٠ / ٤٥، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.

أتباع المسيح (النصارى) لا يمكن أن يبلغوا ما بلغ المسيح في تقواه وعبادته فقالوا: هذا غير ممكن حسبما سوّلت لهم الشياطين إذن نلتزم بالإباحية المطلقة، ونبتعد عن الدين، وننتظر يوم القيامة شفاعة عيسى بن مريم عليه السلام!

حينما نذهب إلى مجتمع النصارى نجدهم أتباع عيسى في الاسم ولا نجد أيّ مظهر من مظاهر الالتزام الديني، فليس في شريعة عيسى لديهم غير الإباحية المطلقة، فهو مجتمع الكفر الذي لا يؤمن بالله حتى اصبحت الكنيسة عندهم تجري عقود الزواج بين المتماثلين أصحاب الشذوذ الجنسي هذه المجتمعات الغربية التي تدعي أنها تومن بالله وبالأنبياء غير مرتبطة عملياً بحجة أنّهم غير قادرين، وإذا كانوا غير قادرين إذن عيسى الذي صُلب هو الذي يشفع لنا، ولهذا يسمون عيسى عليه السلام عيسى المخلّص وهو الذي يخلصنا.

الشفاعة مفهوم صحيح ولكن أساؤوا تطبيقه، أما الإسلام فيقول: صحيح أنتم غير قادرين على أن تبلغوا ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار ولكن قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[1]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

1- سورة الأحزاب: الآية ٢١.

«ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفةٍ وسداد»[1]. ولهذا فان المنهج الديني الإسلامي خاصة مذهب أهل البيت هو أن نمشي في طريق التكامل ٥٠، ٦٠ و٩٠ درجة وهكـذا بمقـدار مـا نستطيع.

قصة ابليس:

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام إن إبليس عليه لعائن الله، لما نـزل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾[2] وهذه صـفة المـؤمنين، كانت هذه الآية قاصمة لظهره، حيث تفضل الله على المـؤمنين بالتوبـة كلما يذنب الإنسان ذنباً ويتوب يغفر الله له ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فأحبطت آمال إبليس، فلا يكون له نصيب من هؤلاء البـشر، حـسب الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن الإمام الـصادق عليه السلام في كتابـه الأمالي[3] ـ وهي محاضرات كان يلقيها على الناس كمحاضرات علمائنـا ومراجعنا الكبار ـ.

1- نهج البلاغة ج ٣: ٧٠، كتاب ٤٥.
2- سورة آل عمران: الآية ١٣٥.
3- الأمالي للصدوق: ٥٥١، ح ٧٣٦ / ٥.

وقف إبليس على جبل ثور _ بين مكة والمدينة، وهو الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حينما هاجر من مكة إلى المدينة _ ودعــا عفاريته يعني جنوده الذين يخدعون الناس وقال لهم: من منكم لهذه الآية؟

قام أحد العفاريت وقال: أنا لها.

قال: وبأيّ شيءٍ؟

قال: بالطريق الفلاني.

فقال: لا تقدر على ذلك.

فقام آخر وقال: أنا لها، قال: بأي شيءٍ ؟ قال: مثلاً بالنساء، بالمــال، بكذا وكذا ولو كان في هذا الزمان لقال: بالستلايت.

فقال: لن تقدر عليها، ذاك الوقت ما كان هناك ستلايت ولا فضائيات فاسدة.

فقام أحد الشياطين وهو الوسواس الخناس وكان بمثابة قائداً للقــوات المسلحة لإبليس وقال: يا إبليس أنا لها.

بماذا؟

قال: أعدهم وأمنّيهم وأسوّف لهم التوبة، يعني يذنب الانسان ذنباً وأنا أقول له: ستتوب غداً وبعد شهر وعندما يقبل شهر رمضان ومحرم الحرام وهكذا.

«لما استمع إبليس هذا التخطيط والمكر منه» قال: أنت لها.

هذا هو طريق إبليس في التسلط على الناس خاصة المؤمنين لأن المؤمن يخاف من الله، ويعتقد بالنار والجنة فيقول له إبليس: ستتوب إن شاء الله، هذا ذنب صغير ارتكبه وتب، وهكذا يسوّف له التوبة، يعده ويمنّيه حتى ينسى الذنب والاستغفار، وتصبح مسألة الذنوب مسألة عادية ولا يشعر ما فيها من إثم.

نرجع إلى موضوعنا: نحن نأمل أن يكون محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم بمقدار ما نستطيع، وحينئذ يحشرنا الله تبارك وتعالى معهم بلطفه وكرمه إن شاء الله تعالى. ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[1] إنهم لم يكونوا أنبياء، ولا شهداء، ولا كانوا علماء، بل كانوا متدينين مثلكم، يحضرون المجالس الحسينية ويسمعون الموعظة.

مسألة القدوة:

لقد اتضح إننا غير قادرين أن نبلغ مبلغهم عليهم السلام، لكن علينا أن نتقدم خطوة خطوة.

الأديان تعتقد _ كما هي قضية واقعية عند البشر _ لابد من قدوة ونموذج ومَثَل صالح، ولا تكفي النظرية لوحدها ولا الآيات القرآنية التي تأمرنا ان نكون هكذا، فلابد أن يتجسد الايمان على الأرض حتى تراه

1- سورة النساء: الآية ٦٩.

بعينك، ففي كثير من الأحيان لا يصدّق الإنسان بشيء إذا لم يره بعينـــه، ولهذا يعتقد الإسلام أنه لابد من قدوة وأسوة حسنة، ويعتقـــد أن الـــنبي صلى الله عليه وآله والإمام المعصوم (عليه السلام) هو القدوة.

لا يقول قائل: كيف للإنسان أن تبلغ عبادته كذا وكذا من المستويات العالية؟ الجواب ان رسول الله كانت عبادته بذاك المستوى، قال تعالى:

﴿طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾[1].

كانت عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله بأعلى الدرجات.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾[2] كان رســـول الله يقوم نصف الليل بالدعاء والمناجاة، وهذا معناه أنه يمكن للإنسان أن يجسد على الأرض اعلى مستوى من مستويات الإيمان والعبادة.

قصة أبي ذر:

كان أبوذر الغفاري رحمه الله من المعارضة حسب اصطلاحنا اليوم أمام الحاكم معاوية الذي حاول أن يتخلص منه بشتى الطرق ومنها الإغـــراء فأرسل له هدية فقال لرسول معاوية:

هذه الهدية لي وحدي، أو لكل المسلمين؟ إذا كانت لكـــل المـــسلمين أقبلها، وإذا كانت لي وحدي فلا أقبلها.

1- سورة طه: الآية ١.
2- سورة المزمل: الآية ٢٠.

قال: هي لك خاصة.

قال: أرجعها له.

معاوية يريد أن يتوسل بكل الطرق ليقبل أبو ذر الهدية فإذا قبلها فان قلبه سوف يرق له.

ماذا فعل معاوية؟ ضاعف الهدية وقال للرسول:

اذهب وبكل الطرق اقنع أبوذر بقبولها، فإذا اقتنع فستكون حراً لوجه الله، رجع الرسول إلى أبي ذر وقال:

اقبل هذه الهدية من معاوية.

قال: لا أقبلها.

قال: إنك فقير ولا تملك شيئاً وسوف تحتاج اليها يوماً من الأيام.

قال ابوذر: عندي اليوم قرص الشعير هذا، ثم رفع البساط فوجد قرصاً ثانياً وقال: هذا يكفيني ليوم غد، وما بعد ذلك سيأتيني رزقي.

قال الرسول: أرجوك اقبل هذه الهدية.

قال: لماذا؟

قال: إن فيها عتقي «انظر إلى الخداع كيف يكون».

قال ابوذر: إن كان فيها حريتك ففيها رقي وعبوديتي.[1]

1- انظر إلى ما يشير لذلك مضمونا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٣: ٥٤، الاحتجاج للطبرسي، ج ١: ٢٢٧.

هذا نموذج فأبو ذر لم يصل إلى مستوى أمير المؤمنين عليه السلام لكن تقدم خطوات في هذا الطريق، ونحن يجب علينا أن نتقدم خطوات أيضاً.

وصايا مهمّة: أعلى الله مقام آية الله العظمى السيد السيستاني وآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (حفظهما الله تعالى) كانت لهما وصايا خاصة عندما التقي بهما وأزورهما .

في أول لقاء لي مع سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني بعد عودتي من ايران كانت وصيته هي أن الطلبة (طالب الحوزة) يجب أن يسكن بيتاً مستاجراً لان الناس ينظرون إلى الطلبة وعالم الدين ماذا يأكل ويشرب ويسكن.

إذا كنا قدوة للناس فلابد أولاً أن تكون بيوتنا مستاجرة، لا يلزم أن يكون بيت كل طلبة مستاجراً بل الطالب الذي يريد أن يكون قدوة للناس، هناك فرق بين العالم وبين القدوة، فمن الممكن أن يكون عالماً ولكن أن يصبح مربياً وقدوة حسنة للناس يتأسى به الفقير فمن اللازم أن يراقب مسكنه بأن يكون متواضعاً ومستاجراً وملبسه بسيطاً.

هذا كلام صحيح جداً فقد كان أئمتنا ومراجعنا وعلماؤنا هكذا ، كانوا أغنياء وربما يملكون أراض وبساتين لكن كانوا أضعف الناس في مأكلهم و مشربهم حتى يصبحوا قدوة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ فَوَ اللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ إلى أن قال: . . .هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

ثم قال عليه السلام: أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ».[1]

1- نهج البلاغة، ج ٣: ٧٢، الكتاب ٤٥.

ماذا يقول نوف:

يقول نوف وهو أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: بت ليلة عند أمير المؤمنين علي عليه السلام فكان يصلي الليل كله ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر إلى السماء و يتلو القرآن، قال: فمر بي بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق ؟ قلت: بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين، قال:

«يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والقرآن دثارا، والدعاء شعارا، وقرضوا الدنيا قرضاً، على منهاج المسيح عليه السلام».

إنها ساعة منتصف الليل وأنا استفيد من هذه الفرصة لتذكير شبابنا وبناتنا بالدعاء والمناجاة وصلاة الليل ولو ركعة واحدة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام فيما روي عنه:

«ليس من شيعتنا من لم يصلّ صلاة الليل ولو ركعة واحدة»[1].

وتعلمون أن صلاة الليل بمجموعها أحد عشر ركعة.

نحن نريد ان يكون محيانا محياهم ومماتنا مماتهم فلابد أن نكون هكذا ونسعى للتقدم في هذا السبيل.

1- المقنعة للمفيد: ١١٩، روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ٣٢١.

قصة جالينوس:

كان جالينوس طبيباً حاذقاً في زمان عيسى عليه السلام معروفاً ولما بُعث عيسى عليه السلام سمع جالينوس أن في البلاد الفلانية شخص يُحيي الميت فقال: عجيب! أنا بالكاد أعالج المريض إذا كان لديه ألم، لكن هناك طبيب أعظم مني اسمه عيسى بن مريم يبريء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله.

أخذ هذا الأمر منه مأخذاً عظيماً، لكن المسافة بين عيسى وبين جالينوس كانت كبيرة وهو رجل كبير لا طاقة له على السفر فأرسل ابن أخته بولس وكتب معه رساله إلى عيسى يقول فيها: يا طبيب النفوس _ انظروا إلى الأدب إنه من أهل المعرفة _ يا نبي الله قد يعجز المريض عن الوصول إلى الطبيب لكن بعثت إليك ابن أختي بولس ليتعلم منك آداب النبوة _ ويقصد شفاء الروح _ وأعالج بها نفسي.

بعض الناس تقول لهم: يا أخوان هناك درس ثقافي، و محاضرة دينيّة ومجلس حسيني لكنهم يزهدون في ذلك لأنهم لا يعرفون قيمة ذلك.

فلما وصل بولس إلى عيسى عليه السلام عرَّف جالينوس ونيته وذكر له ما قال فقدّر عيسى بولس واحترمه فصار واحداً من تلاميذه ومن أكبر حواريه ثم كتب رسالة إلى جالينوس قال فيها:

«يا من أنصف نفسه من العلم _ المسافة لا تفصل بين الأرواح، والسلام».

أنت في بلدة وأنا في بلدة، لكن المسافة بيننا صغيرة جداً. هل تفصلكم مسافة ألف وأربعمائة سنة بينكم وبين الحسين (عليه السلام) مثلاً؟ كلا، كأنكم الآن في زمان الحسين (عليه السلام)، أينما كنتم هل تفصل المسافة المكانية بينكم وبين الحسين؟ الأرواح تعبر المسافات كلها في لحظة، عندما تذكر الحسين ويرق قلبك له تكون قد كسرت المسافة، فلا مسافة زمانية ومكانية ولا مسافة بينك وبين الله تعالى حينما تدمع عينك من خشية الله.

نحن اليوم بحمد الله تعالى مع الأنبياء وأمير المؤمنين والإمام الحسين (عليه السلام) أينما نكون، حينما أشهد مجالس أهل البيت أشعر أن المسافة مقطوعة، ولا كأن هؤلاء الناس يفصل بينهم الف أربعمائة سنة، كأن الحسين أمامنا قد قتل توّاً ، هذا معنى: المسافة لا تفصل بين الأرواح.

نسأل مرة أخرى كيف يكون مماتنا مماتهم و محيانا محياهم؟

يكون ذلك بأن نتأسى بهم.

ادخال السرور:

في رواية يرويها الشيخ الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من أدخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد وصل ذلك إلى الله وكذلك من أدخل عليه كربا».[1]

1- الكافي للكليني، ج ٢: ١٩٢، ح ١٤ (باب إدخال السرور على المؤمن).

من يدخل السرور على المؤمن يدخل السرور على الله وعلى رسول الله، إذا دخلت على جيرانك مثلاً وتفقدت مريضه وذكرته في مصيبته فان الله تبارك وتعالى يسر بذلك.

كيف يكون مماتنا مماتهم؟

الإمام الحسين كان كلما وقف عند واحد من أصحابه كان يقول: قتلة مثل قتلة النبيين، يعني الحسين بمقدار ما هو متألم لكن كان يتلألأ وجهه فرحاً فهذه قتلة جميلة.

وأنا هذا الأمر أذكره لشهيدنا شهيد المحراب السيد الحكيم وأقول: قتلة كقتلة النبيين ما أجملها؟!

نعم هكذا يكون مماتنا مماتهم، الرواية تقول:

«من مات على حب آل محمد مات شهيداً»[1].

يعني لا يقول قائل إن الأئمة يريدون منا أن نُقتل ولا يبقى شيعي واحد؟ المطلوب هو أن تختم عمرك بولايتهم ومحبتهم، أن تكون مستقيماً بحيث تموت ثابتاً على ولايتهم، جاء في الحديث:

«من مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها»[2].

1- الطرائف لا بن طاووس: ١٥٩، فضل آل البيت للمقريزي: ١٢٨.

2- بشارة المصطفى لابي جعفر الطبري: ٣٠٥، فضل آل البيت للمقريزي: ١٢٨، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ج ١: ٩١، ح ٤٤.

انقل لكم رواية يرويها الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

«عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة شديدة، فيضجون إلى ربهم ويقولون: يا رب، اكشف عنا هذه الظلمة. قال: فيقبل قوم، يمشي النور بين أيديهم، قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء. فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة. فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء. فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع، سلوهم من أنتم. فيقول أهل الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، نحن أولاد علي ولي الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون. فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل: اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم، فيشفعون ويُشَفَّعون»[1].

حينئذٍ يكون مماتنا مماتهم في محبيهم و شيعتهم.

1- أمالي الصدوق: ٣٥٨، ح ٤٤٢ / ١٩.

مصيبة مسلم بن عقيل عليه السلام:

اليوم هو اليوم الخامس من محرم الحرام و يخصص عادة لمسلم بن عقيل عليه السلام.

أرسله الإمام الحسين إلى الكوفة، لكي يعرف خبر الناس بالكوفة لا لكي يقوم بثورة.

فخرج في الخامس عشر من شهر رمضان ووصل الكوفة في الخامس من شوال، ومعه رسالة من الإمام الحسين:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن على، إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد: فان هانئا وسعيدا قدما عليَّ بكتبكم ـ وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم ـ، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنه ليس علينا إمام فأقبل، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم.

فان كتب إلي: أنه قد أجمع رأي ملئكم، وذوي الفضل والحجى منكم، على مثل ما قَدِمت عليَّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام»[1].

1- الإرشاد للمفيد، ج ٢: ٣٨، تاريخ الطبري، ج ٤: ٢٦٢.

مهمة مسلم هي مهمة اختبار واستطلاع ولذا لم يقم بالثورة، وهذا هو الجواب لمن يقول: لماذا لم يبادر و لم يستعجل مسلم بالثورة فربما كان ينتصر؟ إذ ربما كان يُقتل أيضاً، النتيجة نفسها وسوف يقول التاريخ إن مسلماً هو الذي أخطأ لأنه خالف الإمام الحسين عليه السلام في أن يرسل له الخبر دون أن يقوم بالثورة وينكمش الناس على أنفسهم منتظرين الحسين عليه السلام.

قصة معبرة وتاريخية:

قبل ٣٠ _ ٣٥ عاما سجلت ملاحظة على أستاذنا الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) هي أنه كان يأبى أن نقوم بالدعوة والدعاية لمرجعيته، وهذا هو شأن العلماء الصالحين فقلت له: سيدنا لماذا هذا الموقف؟ _ وكان هذا الحديث بمناسبة قيام أحد الشخصيات العلمية بمأدبة طعام لمجموعة من شخصيّات الخليج حتى يعرّف بينهم وبين السيد الشهيد الصدر، و لم يكن رحمه الله مرتاحاً لهذا الموقف _ قلت له: إن هذا السيد العالم يريد أن يقرّب بينك وبين الناس، حتى يعرفوك فلماذا لم تقبل؟ وبالتالي سوف يبتعد هؤلاء العلماء عنك، فذكر لي بعد أيام جواباً عظيماً ومهماً بشكل الإشارة.

كان الجواب هو ما قاله عباس محمود العقاد[1] عن مسلم بن عقيل _ حينما يستعرض قضيته و يصل إلى هذه الفقرة: لماذا لم يقتل مسلم ابن عقيل ابن زياد

1- الكاتب المصري المعروف له كتاب (أبو الشهداء) استعرض فيه وباسلوب أدبي مراحل ثورة الإمام الحسين عليه السلام...

وكان قادراً على ذلك؟ في القصة التي سمعتم بها حيث كان مسلم نازلاً عنــد شريك الذي كان مريضاً _ وكان قد نزل أولاً عند المختار، ثم عند شريك، ثم عند هانئ بن عروة _ وهنا عملوا فخاً لابن زياد وهو أنه عندما يأتي ليعود شريك يختفي مسلم بن عقيل في غرفة، فإذا استقر المجلس بابن زيــاد يخــرج مسلم ويقتله.

بالفعل سأل ابن زياد عن شريك قيل إنه مريض وهو شيخ عشيرة، جــاء لكي يزوره فاختبأ مسلم في الغرفة، وبقي شريك ينتظر خروج مسلم ليقتــل ابن زياد، وكلما كان يؤشر ويدعو مسلماً للخروج لكن مسلم لا يخرج إلى أن بدأ يقرأ الشعر ويقول:

حيّوا سليمى وحيوا من يحبيها.

إشارة إلى مسلم للخروج ولكنه لم يخرج إلى أن قال شريك:

إسقونيها ولو كان فيها حتفي، يعني أخرج يا مسلم حتى لو كنت أنا اقتل، شك ابن زياد في الموقف فخرج ، فقال شريك لمسلم بعد خروج ابن زيــاد: أضعت الفرصة علينا، كنّا قد قتلنا ابن زياد ونرتاح، قال: إني سمعت حــديثاً عن أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«الإيمان قيد الفتك»[1].

ونحن لا نغدر، وهذه مكيدة وأنا لا أؤمن بهذا العمل.

يمكن أن يكون هذا تفسيراً ظاهريا للسبب في عدم قتل مسلم بن عقيــل لابن زياد، لكن التحليل السياسي هو أن مسلم ابن عقيل ما كان مكلفاً بهذا

1- المجازات النبوية ص ٣٥٦.

العمل أساساً، كانت لديه مهمة محددة حددها الإمام الحسين (عليه السلام) لا يحق له أن يخرج عنها فلو كان قد صمّم على قتل ابن زياد يكون قد بدأ بالثورة وهذا العمل خطأ والحسين (عليه السلام) لا يقبله، وقد تكون النتائج في غير صالح الإمام الحسين (عليه السلام) ومسلم بن عقيل، وتكون حركة الحسين هي الملامة ويسجل التاريخ نقطة الضعف عليهما.

إن عباس محمود العقاد يستعرض هذا الموقف ويقول:

إذا كان هذا الموقف خطأ فانه لا يصدر إلاّ من عظيم، أي شخص عظيم النفس مثل مسلم بن عقيل يلتزم أمام عدوه بالقيم الأخلاقية بحذافيرها؟![1]

بايع ثمانية عشر ألف شخص مسلم بن عقيل والقصة معروفة لديكم، لكنهم تركوه في غضون ساعات إلى أن التجأ إلى المرأة طوعة، ثم اشتبك في معركة مع القوات التي أرسلها ابن زياد لالقاء القبض على مسلم وكان قائدها محمد بن الأشعث فأرسل لابن زياد: مدّني بالخيل والرجال، فبعث إلى محمد بن الأشعث يقول: بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به، فثلم في أصحابك ثلمة عظيمة، فكيف إذا أرسلناك إلى غيره؟ فأرسل ابن الأشعث: أيها الأمير أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقالي الكوفة، أو إلى جرمقاني من جرامقة الحيرة؟ أو لم تعلم أيها الأمير أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كف بطل همام، من آل خير الأنام، فأرسل

1- يريد السيد الشهيد الصدر قدس سره بعرض هذه القصة أن يقول اذا كان موقفي خطأ كما يفهمه البعض فانه من باب ضرورة الالتزام بالقيم الاخلاقية والروح المبدئية بعيداً عن حب المقام والشهرة والدعاية.

إليه ابن زياد أعطه الأمان فانك لا تقدر عليه إلا به _ لاحظـوا الغـدر والخيانة وقارنوا بين هذا الموقف وبين موقف مسلم بن عقيـل _ إلا أن مسلم لم يستجب لهم فلم يقدروا عليه إلى أن عملوا له حفيرة وقع فيها، وجيء به إلى قصر ابن زياد.[1]

فيا بن عقيل فدتك النفوس   لعظـم رزيتـك الفادحـة
لنبكِ لها بمذاب القلـوب   فما قـدر أد معنـا المالحـة
لانك لم تُرو مَـن شـربةٍ   ثناياك فيها غـدت طائحـة
رموك من القصر إذ أوثقوك   فما سلمت فيك من جارحة
وسحباً تجـر باسـواقهم   ألـستَ أميرهـم البارحـة

إنا لله وإنا إليه راجعون

1- راجع مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني: ٦٥...

المحاضرة السابعة

«الليلة السابعة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

وسيلة التقرب إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وإِلَى رَسُولِهِ وإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وإِلَى فَاطِمَةَ وإِلَى الْحَسَنِ وإِلَيْكَ بِمُوَالاتِكَ وبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ ونَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ».

حديثنا هذه الليلة في هذا المقطع من الزيارة.

نحن نتقرب إلى الله بموالاتهم، وبالبراءة من أعدائهم.

حديثنا هذه الليلة عن القرب إلى الله تبارك وتعالى وأسبابه، وكيف تكون مودة أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم أحدها؟

القرب إلى الله تعالى مفهوم قرآني لا يمكن المناقشة فيه، الإنسان قد يكون قريباً من الله تعالى وقد يكون بعيداً.

الله سبحانه قريب، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[1].

القرب إذن ليس قرباً مكانياً حيث أن الله ليس في مكان، بل هو القرب من الحقيقة المطلقة ومن بيده أسباب السماوات والأرض، وكلما يكون الإنسان قريباً من الله تعالى تكون قدرته في التأثير على الأمور

1- سورة البقرة: الآية ١٨٦.

الكونية أكبر، لأنه يكون قريباً من أسباب السماوات والأرض ومسبب الأسباب، كالضوء كلما يكون قريباً من المحطة الكهربائية يكون أقوى، وكلما يكون أبعد يكون الضوء أضعف. القرب من الله يعني التمكن من أسباب الكون بحيث يقول للشيء كن فيكون.

كيف يكون الإنسان قريباً من الله تعالى؟ وكيف يكون بعيداً؟

ثم عندنا شيء آخر هو القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام.

لا يقول قائل: هذا شرك، أنتم تتقربون إلى الله أم إلى رسول الله؟ فنقول: نحن نتقرب إلى الله وإلى رسوله، وهذا توحيد لأن القرب إلى الله هو القرب إلى رسول الله نفسه، والقرب إلى رسول الله هو القرب إلى الله تعالى نفسه، المسار واحد وليس مسارين، فالمسار يكون تارة لليمين وآخر للشمال، فحينما تتجه نحو اليمين تبتعد عن الشمال، لكن حينما يكون المسار واحدا ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] فانك تمشي على هذا الصراط قريباً من رسول الله كما تكون قريباً من الله تعالى، هذا مسار واحد ولهذا ينبغي أن لا تختلط المفاهيم عندنا كما اختلطت عند الجهلة، فعندما نتقرب إلى رسول الله صلى لله عليه وآله يقولون هذا شرك ونسوا قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.[2]

1- سورة الزخرف: الآية ٤٣.
2- سورة الفتح: الآية ١٠.

القرآن يقول: هذه البيعة لله تعالى لان طريق رسول الله وطريق الله طريق واحد.

هكذا التقرب إلى أمير المؤمنين و الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام هو تقرب إلى الله.

رضا الله ورضا رسوله واحد أيضاً، وغضب الله وغضب رسوله واحد، ولهذا القرآن الكريم يقول:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[١].

المهم رضا الله ورضا رسوله، إذن صار الرضا رضاءين: رضا الله، ورضا رسوله، فهل هذا شرك؟ إنه توحيد فانّ رضا الله ورضا رسوله واحد.

عن النبي صلى الله عليه وآله: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله»[٢] إنه واحد أيضاً.

القرب كما يقول الدعاء: «إني أتقرب إلى الله، وإلى رسوله، وإلى أمير المؤمنين، وإلى فاطمة، وإلى الحسن، وإليك» يا أبا عبد الله، أتقرب إليكم جميعاً لأنكم كيان واحد، حقيقة واحدة، ولستم حقائق متعددة.

1- سورة التوبة: الآية ٦٣.
2- المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٣: ٣٨٠، كنز العمال للهندي، ج ١١: ٦٢٢، ح ٣٣٠٢٤، تحف العقول لابن شعبة: ٤٥٩.

هل القرب إلى الله ممكن؟

نعم ممكن فقد قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[1] إن (خليل) أكثر من قريب، المفسرون يقفون عند فكرة الخليل يعني الصديق الحميم ، والله قد اتخذ إبراهيم صديقاً وخليلاً له وليس مجرد قريب.

لماذا وُصف إبراهيم بالخليل؟

إنه معنى عجيب وعظيم وكثير من الناس لا يهضمون هذه المعاني، وهـــي تُلقى على الخاصة من الناس وليس العموم، هل إن معنى خليل هو أن إبراهيم تَخلَّل في المقامات والأسماء الإلهية أو أن الله تَخلَّل في إبراهيم؟ لـــيس بـــالمعنى المادي والجسدي طبعاً وإلاّ فان الله موجود مع كل موجود، بل إنه تخلـــل في إبراهيم، في حبه، وبغضه، ومشيه، ونومه بحيث حصل تلاحم.

الله تَخلَّل في إبراهيم أو أن إبراهيم تَخلَّل في مقامات الله، أي تخلل في كل اسم من أسماء الله، حميد، مجيد، عظيم، غفور و رحيم، فدخل معهـــا فكان خليلاً؟

هذه معاني نترك الحديث فيها إلى أهل الاختصاص.*

إذن القرب من الله ممكن، فقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أعلى مدارج القرب ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[2] القوس مسافة الشبر، يعـــني رسول الله كان من ملكوت الله قاب شبرين أو أدنى من ذلك.

1- سورة النساء: الآية ١٢٥.

* وقد تناولها ابن عربي في كتابه (النصوص) فراجع.

2- سورة النجم: الآية ٩.

الحسين كما جاء في الرواية انه يوم القيامة على يمين العرش وشيعته معه مأنوسين وينظرون بوجهه، فترسل لهم زوجاتهم من الحور العين في الجنة: إننا قد اشتقنا إليكم، ونحن بالانتظار، فيقولون:إننا مشغولون بالنظر إلى وجه الحسين كما جاء ذلك في بعض الروايات.[1]

قصة ثوبان:

أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه ثوبان، كان محباً له فرآه يوماً من الأيام حزيناً كئيباً، قال: أراك غير مرتاح ما القضية؟

قال: فكّرت أين ألقاك يوم القيامة يا رسول الله ولا قدرة لي على فراقك في الدنيا ليلة واحدة. إذا كنا في الجنة أين منزلتك وأين منزلتي، يمكن أن تكون في كوكب من الكواكب وأنا في الأرض، وإذا لم أكن في الجنة فعلى الإسلام السلام فانا في حيرة.

هذه عظمة حيث يفكر هذا الإنسان بيوم القيامة كيف يحشر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف يجده، فنزل قوله تعالى:

1- انظر نص الرواية ولفظها: عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: ... يا زرارة إنه إذا كان يوم القيامة جلس الحسين في ظل العرش وجمع الله زواره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنصرة والبهجة والسرور إلى أمر لا يعلم صفته إلا الله فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون: إنا رسل أزواجكم إليكن. يقلن: إنا قد اشتقناكم وأبطأتم عنا فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة على أن يقولوا لرسلهم: سوف نجيئكم إنشاء الله. في البحار للمجلسي، ج ٩٨: ٧٥، ح ٢٥، نقلاً عن نوادر علي بن اسباط: ١٢٣.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾.[1]

الذين يكونون مع النبي صلى الله عليه وآله هذه صفتهم.

أين ألقاك:

طبعاً فرح ثوبان بذلك.

ولأهمية هذا السؤال سألت الزهراء رسول الله صلى الله عليه وآله هذا السؤال قبل مماته، قالت: يا رسول الله أنا يوم القيامة أين ألقاك؟ قال لها: تجديني عند الصراط ... إلى أن قال: تجديني عند الحوض[2].

هناك أماكن يوم القيامة لابد تبحثون عنها لكن كم هي المسافات؟ إنها ملايين السنين الضوئيةن إذا أردنا أن نحسبها بالحسابات الماديّة. فكيف تصل حينما يقال لك إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند الحوض؟

يمكن أن تصل بالعمل الصالح ومحبتك وولايتك.

1- سورة النساء: الآية ٦٩، راجع تفسير الآية وسبب نزولها في تفسير مجمع البيان للطبرسي، ج ٣: ١٢٥.

2- مجمع الزوائد للهيثمي، ج ٩: ٣٠، كشف الغمة، ج ٢: ١١٨. ولفظ الرواية: عن الزهري عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام لفاطمة: سألت أباك فيما سألت أين تلقينه يوم القيامة؟ قالت: نعم قال اطلبيني عند الحوض، قلت: فإن لم أجدك هيهنا، قال: تجديني مستظلاً بعرش ربي...

قصة ربيعة:

كان شخص يخدم رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه ربيعة، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ربيعة خدمتني (سبع) سنين أفلا تسألني حاجة؟

فقلت: يا رسول الله أمهلني حتى أفكر فلما أصبحت ودخلت عليه. قال لي: يا ربيعة هات حاجتك.

فقلت: تسأل الله عز وجل أن يدخلني معك الجنة، فقال لي: مَن علَّمك هذا؟!

فقلت: يا رسول الله ما علَّمني أحد، لكن فكرت في نفسي وقلت: إن سألته مالاً كان إلى نفاد، وان سألته عمراً طويلا وأولادا كان عاقبتهم الموت. قال ربيعة: فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه ساعة ثم قال: أَفعَل ذلك، فأعنِّي بكثرة السجود.[1]

سبل القرب من الله:

نرجع إلى موضوعنا: ما هي سبل القرب من الله تعالى؟

تقول الروايات بأن أول سبيل هو أداء الفرائض[2]: الصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد الفرائض تأتي النوافل والمستحبات.

1- الدعوات للراوندي: ٣٩، ح ٩٥.

2- انظر الكافي للكليني، ج ٢: ٨٢ (باب أداء الفرائض)، ح ٥، وصفحة ٣٥٢، ح ٧، ومجمع الزوائد للهيثمي، ج ٢: ٢٤٧، كنز العمال للمتقي الهندي، ج ١: ٢٢٩، ح ١١٥٦...

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية عامة:

الكثير من الناس يفهمون _ عن حسن نية _ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مسؤولية العلماء وحدهم أمّا هم يتفرجون ، تقول له: يا أخي لماذا لا تأمر بالمعروف؟

جاءني شخص _ من العباسية أو غيرها _ وقال إن البعثيين أخذوا أرضي و بيتي فقلت له: تريد أن ءاتي للبعثي وأخرجه من بيتك وأعطيك المفتاح؟ وأخرجه من المزرعة وأقف للحماية عنك ؟ هل هذا هو المنتظر من العلماء؟ وأنت ما هي مسؤوليتك؟ قال: سيدنا هذا عقرب، قلت له: العقرب ماذا يفعلون معه!؟

أقول لكم: اخرجوا البعثيين من دوائركم، اكتبوا شعاراً ضدّهم، هل فما هي مسؤوليتكم؟ لا يكفي أن تقعد وتستمع فقط و تقول إن للسيد السيستاني أو العالم الفلاني موقفا جيداً، أنت ما هو موقفك؟

في الحديث: ما تقرب إليّ عبدي بمثل الفرائض وأحدها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه في هذا الزمان وفي العراق خاصة هو ملاحقة البعثيين أصحاب الجرائم بحق هذا الشَعب.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله: «ما تقرب إليّ عبدي بمثل الفرائض»[1].

1- الكافي للكليني، ج ٢: ٣٥٣، ح ٧ – ٨، مع اختلاف يسير في اللفظ، مجمع الزوائد، ج ٢: ٢٤٧.

وفي رواية: «ما تحبب إليّ عبدي بأحب مما افترضته عليه»[1].

الحديث الذي رويت فيه معان عظيمة بحيث يصير سمع الإنسان ويده سمع الله ويده، والعلماء يسمّون هذه المرتبة مرتبة قرب النوافل لان العبد فيها يتقرب أولاً بالفرائض ثم يرقى لأداء النوافل كما جاء في الحديث القدسي «... وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به، ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها...»[2].

كيف قلع علي عليه السلام باب خيبر؟ وعلمياً كيف يقلع هذا الجسم البسيط باباً عظمى يقوم بفتحها أربعون شخصا وهي باب حصن عظيم؟

جاء أمير المؤمنين ونظر إلى الباب فلاحظ فيها فتحة صغيرة فأدخل اصبعه فيها، ثم اقتلعها ورماها جانباً بإجماع المسلمين، وبلا خلاف إن هذه المنقبة لم تذكر إلا لعلي في التاريخ، ولذلك يقول الشاعر هذه الأبيات المكتوبة على ضريح أمير المؤمنين عليه السلام:

يا قالع الباب الذي عن هزّه   عجزت أَكفٌ أربعون واربع
أأقول فيك صميدع كلا ولا   حاشى لمثلك أن يقال صميدعُ[1]

1- المحاسن للبرقي، ج ١: ٢٩١، ح ٤٤٣.
2- الكافي للكليني، ج ٢: ٣٥٢، ح ٧ و٨.

صـــــــــــــــــــــــميدعُ[1]

هذه معجزة الدهر، تلك قوة الله.[2]

التعبويون أي الجيش الشعبي في الجمهورية الاسلامية (بعمر ١٤ _ ٢٠ سنة) اندفعوا للقتال في الحرب العراقية الإيرانية، وكانت إيران محاصـــرة وكل العالم يغدق على العراق بالتسليحات والأموال، ولكن كان الله معها إلى أن وصل الأمر بالطاغية صدام إلى أن يطلق صواريخ علـــى النـــاس، فأخذ الإيرانيون يصنعون صواريخ بخبرات ذاتية بـــسيطة فـــأطلقوا أول صاروخ فأصاب مصرف الرافدين في بغداد. تعجبوا! كيـــف أصـــاب المصرف بدون إحداثيات وسئلوا: كيف صنعتم ذلك؟ قالوا: قلنا بسم الله الرحمن الرحيم وأطلقناه.

طبعاً لا نقصد ان الخبرة والدقة والتقنية غير مطلوبـــة لكننـــا نقـــصد الاشارة إلى اهمية التوكل على الله تعالى.

هذه يد الله تعالى «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها».

1- هذه الأبيات لابن أبي الحديد المعتزلي يمدح بها علياً ، راجع القصائد العلويات، القصيدة السادسة، ص: ١٤٠.

2- روي أن أمير المؤمنين قال: والله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية... لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضية... راجع الأمالي للصدوق: ٦٠٤، ح ٨٤٠ / ١١.

أنا وأنتم نحب هذا الحديث وهو أن ضربة علي كانت تسمى (الضربة البتراء) فالفارس الذي يأتي ليقاتل علياً وهو مدجج وعليه درع، كان علي يقطعه نصفين يمين ويسار، أو أعلى وأسفل حتى أن أحد أبطال الشام في معارك صفين خرج له أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما عجز أصحابه عن مواجهته فضربه ضربة واحدة فقدّه نصفين، فسقط أعلاه إلى الأرض وبقي بطنه وفخذاه على الفرس، فأصبحت قريش تضحك من هذا المنظر.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.[1]

الأقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله:

في الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق في الأمالي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقربكم مني غداً وأوجبكم عليّ شفاعةً أصدقكم لساناً وآداكم للأمانةً»[2] أي أكثركم أداء للأمانة، وأهل البيت أمانة الله عندنا، الحسن عليه السلام أمانة، الحسين عليه السلام أمانة، التشيع أمانة، أمير المؤمنين عليه السلام أمانة، المراجع أمانة، المواكب الحسينية أمانة، هذه أمانة الله في الأرض.

1- سورة الأنفال: الآية ١٧.
2- آمالي الصدوق: ٥٩٨، ح ٥/٨٢٦.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسانُ﴾[1]. ثم يقول الحديث «وأحسنكم اخلاقاً، وأقربكم من الناس».

وسوف تلاحظون أن هذه الصفات الأربعة موجودة عند شيعة أهل البيت عليهم السلام عملياً.

إن أصدق المسلمين لساناً هم شيعة أهل البيت وآدى الناس للأمانة هم الشيعة. «وأحسنكم أخلاقاً وأقربكم من الناس» في التعامل مع الناس، ولذلك شيعة أهل البيت يدخلون في قلوب الناس.

ثلاث أسباب القرب:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

أوحى الله إلى موسى عليه السلام: «إن عبادي لم يتقربوا إليّ بشيءٍ أحب إليّ من ثلاث خصال، قال: يا ربي وما هنّ؟ قال: يا موسى الزهد في الدنيا، والورع عن المعاصي، والبكاء من خشيتي.

قال موسى: يا رب فما لمن صنع؟ فأوحى الله عزّ وجل إليه: يا موسى أما الزاهدون في الدنيا ففي الجنة، وأما البكاؤون من خشيتي ففي الرفيق

1- سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

الأعلى لا يشاركهم أحد، وأما الورعون عن معاصي فأني أفتش الناس ولا أفتشهم _ يعني يدخلون الجنة بلا حساب _»[1].

ولهذا نقرأ في دعاء كميل هذا المعنى: «اللهم إني أتقرب إليك بذكرك، واستشفع بك إلى نفسك، وأسألك بجودك أن تدنيني من قربك وان توزعني شكرك، وأن تلهمني ذكرك».[2]

الإمام السجاد عليه السلام يقول: _ وهذه بشارة لكم _ «إني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرة، لأنا فيما ينوبنا من الرزايا نصبر على ما نعلم من الثواب وهم يصبرون على ما لا يعلمون»[3].

ثلاثة مستويات:

نلاحظ خصوصية أخرى في هذا المقطع من زيارة عاشوراء:

«وبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ».

هناك مجموعة قاتلت الحسين مباشرة، وهناك مجموعة ثانية أسست أساس ذلك وربما لم تشارك مباشرة في القتال وهناك مجموعة ثالثة أنساقت وجرت مع المقاتلين وربما لم تشارك هي أيضاً في القتال من ناحية عملية.

1- الكافي للكليني، ج ٢: ٤٨٢، (باب البكاء) ح ٦.
2- مصباح المتهجد للطوسي: ٨٤٥، ح ٩١٠ / ٨٥.
3- الكافي للكليني، ج ١: ٤٧٢، ح ١.

لهذا يقول (عليه السلام): «وبالبراءة ممّن قاتلك ونصب لك الحرب، وبالبراءة ممّن أسس أساس ذلك، وجرى في ظلمه وجوره عليكم أهل البيت».

كثير من الناس جروا في الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام، مثل الذي شارك في جيش ابن سعد فلعله لم يضرب بسهم ولا بحجارة، لكن كثّر سواد الظالمين وجرى في ظلمه على أهل البيت.

موالاة الأولياء:

هناك مفهوم آخر تعطيه الزيارة:

«وأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوَالاتِكُمْ ومُوَالاةِ وَلِيِّكُمْ».

فلا يكفي أن تحب الحسين فقط ثم لا تحب شيعة الحسين إن الحسين غير موجود في هذا الزمان، لكن بقي أتباعه وأولياؤه، فلابد أن توالي هؤلاء.

هذه نقطة حينما تقرؤوها قفوا عندها، إذا أردت أن تعرف موالاتك لأهل البيت أنظر موالاتك لأتباعهم وشيعتهم وأوليائهم ومجالسهم، فإذا كان عندك موالاة لهذه المشاهد ومحبة فانك موالٍ لهم، وإذا كنت بعيداً عن هذه المشاهد فان موالاتك ليست حقيقية.

مصيبة أبي الفضل العباس (عليه السلام):

هذه الليلة وهي الليلة السابعة من محرم الحرام تخصص للعباس ، وهذا الاختصاص فيه ارتباط تاريخي بالعباس كما تعلمون لأنه في مثل اليوم السابع من المحرم الحرام اشتد الحصار على الإمام الحسين، ونفد الماء، وبدأت معالم الهلع واللوعة، هنا قيّض الحسين أخاه العباس ليطلب الماء وجاء به، ثم في اليوم التاسع والعاشر من المحرم حيث أجاز للعباس بالقتال طلباً للماء للعيال فنزل عند المشرعة وقلبه يتلظى من الظمأ، كشفهم وهم أربعة آلاف لا يدرون أهذا علي يقاتل بالميدان أم ولده العباس؟

نزل العباس عند المشرعة، أراد أن يشرب الماء فتذكر عطش الإمام الحسين، وهذه المواساة عندما نقرأ في زيارته: «نعم الأخ المواسي لأخيه».

هذه منقبة تذكر للعباس، وإمامنا الصادق يقول: «كان عمّنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان»[1].

أي لم يكن مجرد بطل، لاحظوا الشهامة والأباء والوفاء. ألقى الماء من يده، وتذكر عطش الحسين، وهو يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تالله ما هذا فعال ديني

1- مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٧٦، سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٨٩.

ألقى الماء وملأ القربة ورجع، اجتمعت حوله ثلاثة فرق والعباس بطل الميدان يتقدم ويقاتل، كَمِنَ له لعينٌ فقطع يده الـيمنى فأخـذ الـسيف بيساره، وهو يقول:

والله إن قطعـتم يمـيني إني أحامي أبداً عـن ديـني
وعن إمامٍ صـادقِ الـيقين سبط النبي المصطفى الأمـين

كَمَن له لعينٌ من وراء نخلة فضربه على شماله فقطعها، وقف العباس لا يدين له فيدافع بهما، بينما هو واقف وإذا بسهم أصاب القربـة فـأراق ماءها، وإذا بسهمٍ أصاب عينه فأطفاها، بقي العباس لا يدين فيدافع بهما، ولا عينين فيبصر بهما، وإذا بعمودٍ على رأسه خرّ صريعاً وهـو ينـادي: السلام عليك أخي أبا عبد الله.

فمشى لمصرعه الحسين وطرفه بين الخيـام وبينـه متقـسم

جلس عنده أراد أن يحمله إلى المخيم فاعتذر إليه العباس من ذلك.

قام الحسين، ولكن كيف قام؟ قام منحنياً، منكـسراً، مناديـاً: الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شمت بي عدوي. رجع إلى المخيم، يكفكف دموعه بكمّه، يا زينب، يا أم كلثوم: عليكنّ مني السلام، أقبلت

النسوة: أين عمنا العباس؟ قال: قتل، صحن صيحة واحدة: وا عباساه، وا عماه، وا ضيعتنا بعدك.[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون

1- راجع ما ورد في مقتله عليه السلام كتاب مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٧٩، وشرح الأخبار للقاضي النعمان، ج ٣: ١٩١.

المحاضرة الثامنة

«الليلة الثامنة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

قضايا دينيّة وتاريخيّة

* المقام المحمود
* قدم الصدق
* بنو أميّة في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقام المحمود عند الله:

ما هو المقام المحمود؟ ما هو قدم الصدق؟

إن هذا يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكبـــاد، إلى أي قـــضية تاريخية تشير عبارة «اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِكَ وَلِسَانِ نَبِيِّكَ».

هذه مجموعة قضايا تاريخية وعقائدية مهمة تستحق أن نقف عنـــدها، لأن الزائر والداعي يجب أن يقف عندما يقرأ هذه العبارات، ونحن نحاول بما يسمح الوقت لتناول هذه العبارات بالشرح بتوفيـــق الله ســـبحانه و تعالى.

آكلة الأكباد:

«اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ».

هناك جمع من الناس اعتبروا يوم العاشر من محرم الحـــرام يـــوم فـــرح وسرور! وهم آل أمية وآل زياد وآل مروان ومن العجيب أن تجري هذه القضايا في التاريخ حتى نجد أن النظام السابق البائد _ والقوم أبناء القـــوم

ـ كان يحيي يوم عاشوراء بالطرب والمجون، وكان عدي نجل الطاغية صدام (لعنه الله) يجعل يوم عاشوراء يوم حفل مهرجاني واسع سروراً وابتهاجاً بزواج عام في فندق الرشيد بالمجان لمئات المتزوجين! نكاية برسول الله صلى الله عليه وآله وبشيعة الحسين عليه السلام فهل قلّت أيام السنة؟ كان عليهم أن ينتخبوا يوماً من الأعياد ولكنهم اختاروا يوم عاشوراء وهم يعرفون أنه يوم قتل الحسين عليه السلام ولا يوجد أحد من المسلمين يناقش ذلك؟

إن هذا يوم تبركت به بنو أمية، هذا نموذج من أيام فرح بني أمية وابن آكلة الأكباد إشارة إلى معاوية ابن أبي سفيان وأمه هند وتُكنّى بآكلة الأكباد، يا وصمة العار في التاريخ وهذا شأنهم في التاريخ. لم يحفظ لهم التاريخ كرامة، لكن لاحظوا شأن الأطياب.

إن هند زوجة أبي سفيان هي التي أكلت كبد حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله في معركة أحد. أنتم تعلمون انتصر المسلمون في بدر ولكن في أُحد كان النصر في الجولة الأولى للمسلمين وفي الجولة الثانية للمشركين ثم عادت في الجولة الثالثة للمسلمين.

خرجت قريش بثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، أي المجموع خمسة آلاف مسلح، لأنه بعد معركة بدر التي قتل فيها من المشركين سبعون نفراً، قَتلَ علي بن أبي طالب عليه السلام نصفهم وأُسرَ منهم سبعون، لما عادت قريش مهزومة إلى مكة المكرمة قال كبير المشركين أبو سفيان لا تبكي

باكية ولا عزاء على قتلانا حتى نأخذ ثارنا، وحشدوا قواتهم للسنة القادمة (الثانية من الهجرة) لمعركة أحد.

المسلمون أيضا عبّأهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا سبعمائة مقاتل، فارس وراجل لا يزيدون على ألف، لا يبلغون الخُمس بالنسبة إلى قوات المشركين. احتدمت المعركة، فكلف رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعة من الرماة أن يحموا المسلمين من ظهرهم ويقفوا على الجبل خوفاً من الالتفاف العسكري من قبل المشركين على المسلمين، وبالفعل حدث التفاف عسكري يقوده خالد بن الوليد قائد معركة المشركين من قريش.

بعدما هجم المسلمون ودارت الدائرة على قريش ورای هؤلاء الرماة الغنائم نزلوا من الجبل وتركوا وصية رسول الله، فقام خالد بالتفاف عسكري وقتل من المسلمين مقتلاً عظيماً، ومن الذين استشهدوا حمزة عليه السلام عم النبي سيد الشهداء، قتله وحشي وكان عبداً تابعاً لهند زوجة أبي سفيان، قالت له تأخذ ثاري من محمد أو علي أو حمزة، قال: أما محمد فلا أستطيع لأن أصحابه حوله، وأما علي فلا أستطيع أيضاً لأنه بارع في الحرب ولا يفوته النظر عن يمينه وشماله، لكن عليّ بحمزة حيث يمكن مخادعته يميناً وشمالاً، فكان وحشي يترصد الفرصة السانحة، فجاء من جانب من جوانبه فرماه بالرمح وأصابه في كبده، سقط حمزة صريعا ثم انتهت المعركة.

جاءت هند وشقت بطنه وأخرجت كبده، ووضعته في فمها لتأكله فحوّله الله تعالى حجراً فلفظته، ومن هنا سميت آكلة لأكباد. لنرى علي بي أبي طالب عليه السلام أين كان في اُحد؟

حينما دارت الدائرة على المسلمين كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي علياً: اكفني هؤلاء القوم فشدّ عليهم حتى هزمهم، وهكذا صار رسول الله صلى الله عليه وآله بحماية علي عليه السلام.

وكانت راية قريش بيد طلحة، فقال: من يبرز؟

برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقول	لكم خيول ولنا نصول
فاثبت لننظر أينا المقتول	وأينا أولى بما تقول
فقد أتاك الأسد الصؤول	بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول

قال طلحة: من أنت يا غلام؟ وكان عمر علي آنذاك ٢٣ _ ٢٥ سنة

قال: أنا علي.

قال طلحة قد علمت: لا يجسر عليّ أحد غيرك، فضربه طلحة فاتقاه أمير المؤمنين ثم ضربه الإمام على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على الأرض وسقطت الراية، وأراد علي أن يجهز عليه فأقسم طلحة بالرحم فانصرف عنه.

قال المسلمون: ألا تجهز عليه؟

قال عليه السلام ضربته ضربة لا يعيش بعدها.[1]

وأخذ الراية بعده أبو سعيد _ وعنده سبعة أولاد أبطال _ تقدم فقتله علي، فأخذها ابنه عثمان فقتله علي فأخذها مسامع فقتله علي وهكذا قتل آخرهم وهو أرطاة بن شرحبيل.

أخذ الراية مولاهم صوأب وجاء مغضباً محمر الوجه فكل ساداته قد قتلهم علي فأخذ يقول وقد أزبد شدقاه وأصحرت عيناه: والله لا أقتل بسادتي إلا محمداً، أقبل وكأنه قبّة مبنية فضربه أمير المؤمنين على رأسه فقتله.[2]

المأساة الكبرى:

بعد هذا التاريخ أصبح اللعين ابن اللعين معاوية حاكم المسلمين وهو اللعين على لسان الله ولسان رسول الله صلى الله عليه وآله.

يروي ابن أبي الحديد المعتزلي وهو مؤرخ من أبناء العامة وله شرح لنهج البلاغة عن أحد المسلمين قوله:

أتينا مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله والناس يقولون نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فقلت: ما هذا؟

1- تفسير علي بن ابراهيم: ١١٠.
2- راجع تفسير القمي، ج ١: ١١٣.

قالوا معاوية قام الساعة من المسجد فأخذ بيد أبي سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لعن الله التابع والمتبوع»[1] فقد كان أبو سـفيان يتبع معاوية، فقال رسول الله برواية أبناء العامة لعن الله التابع والمتبـوع لعنه رسول الله ولكن العجيب ان هذا الرجل نفـسه سـيكون خليفـة المسلمين!

أما لعن معاوية على لسان الله فلقوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾.[2]

روى المؤرخان الطبري والقرطبي:

أن رسول صلى الله عليه وآله رأى في المنام قردة _ وهم بنو أميـة _ ينزون على منبره، فما رؤي ضاحكاً بعد ذلك اليوم.

فنـزل قوله تعالى:

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾[3].

لدينا في القران شجرة ملعونة وشجرة طيبة، الملعونة هي بنو أميـة و الطيبة هي آل رسول الله صلى الله عليه وآله برواية أهل السنة.[4]

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤: ٧٩.
2- سورة الإسراء: الآية ٦٠.
3- تاريخ الطبري، ج ٨: ١٨٥، تفسير القرطبي، ج ١٠: ٢٨٣.
4- شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي، ج ١: ٤٠٦، ح ٤٢٨، وأيضاً روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ج ٣: ١٦١، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أنا الشجرة وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها...».

القران الكريم يقول:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

يروي الشيخ الصفار في البصائر عن أبي حمزة الثمالى عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سألته عن قول الله تعالى (شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا أصلها وعليٌّ فرعها والأئمة أغصانها وعلمنا ثمرها وشيعتنا ورقها يا أبا حمزة هل ترى فيها فضلاً* قال قلت لا والله لا أرى فيها قال فقال يا أبا حمزة والله أن المولود يولد من شيعتنا فتورق ورقة منها ويموت فتسقط ورقة منها».[2]

الحمد لله فان مجتمع أهل البيت مثمر دائماً بالعلم كشجرة طيبة تؤتي أكلها إلى اليوم، هذه فلسطين من الذي حرَّك شعبها بعد طول سبات غير شيعة أهل البيت؟ الحسين عليه السلام حركهم.

ثم تقول الآية:

1- سورة إبراهيم: الآية ٢٤.

* قال المجلسي اعلى الله مقامه في البحار ج ٢٤ / ١٣٩: بيان: قوله: هل ترى فيها، أي في الشجرة فضلاً، أي شيئاً آخر غير ما ذكرنا، فلا يدخل في هذه الشجرة الطيبة ولا يلحق بالنبي صلى الله عليه وآله غيرها ذكر، والمخالفون خارجون منها داخلون في الشجرة الخبيثة.

2- بصائر الدرجات للصفار: ٧٨، باب ٢، (في الأئمة عليهم السلام وأن مثلهم مثل شجرة التي ذكر الله تعالى فيهم وفي علمهم).

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾[1]وهي:الأمويون، المروانيون، آل صدام، آل عفلق، آل البعث. الحمد لله أن جعلنا من الشجرة الطيبة وجعل أعداءنا من الشجرة الخبيثة.

قدم الصدق عند اللّه:

ثم يقول الدعاء: «وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ».

ما هو قدم الصدق في الدنيا والآخرة؟

الصادقون في الأعمال هم الذين تطابق أقوالهم أعمالهم.

يقول الله سبحانه:

﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾[٢].

اقرأ لكم رواية هذا اليوم من مجموع روايات عشرة عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إن المؤمن إذا أُخرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه، حتى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك واهلاً، أما والله لقد كنت أحب أن يمشي عليّ مثلك لترين ما أصنع بك، فُوسّع له مَدَّ بصره، ويدخل عليه في قبره ملكا القبر منكر ونكير... فيلقيان فيه الروح فيقعدانه

1- سورة إبراهيم: الآية ٢٦.

2- سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

ويسألانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول الله، ما دينك؟ فيقول الإسلام، ومن نبيك؟ فيقول: محمد، فيقولان: من إمامك فيقول: علي، فينادي مناد في السماء صدق عبدي... افتحوا له في قبره باباً إلى الجنة»[1].

نقول في زيارة عاشوراء:

«وأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ».

تقول الروايات إن شيعتنا لهم المقام المحمود[2]، وأعلى مقام في الجنة اسمه الوسيلة، لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«سلوا الله لي الوسيلة»[3].

أما درجة المؤمنين فهي المقام المحمود.

المقام المحمود:

هذا في فضل صلاة الليل لمن يريد المقام المحمود مع رسول الله.

قال أنس ابن مالك: رأيت رسول الله مقبلاً على عليّ بن أبي طالب يتلو هذه الآية: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[4] فقال: «يا علي إن ربي عزّ وجل ملكني الشفاعة في أهل

1- الكافي للكليني ج ٣: ٢٣٩، ح ٤٧٢٤-١٢.
2- راجع أمالي الصدوق: ٦٦، ح ٣٢ / ٨، روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ٢٩٦، أمالي الطوسي: ٢٩٨، ح ٥٨٦ / ٣٣.
3- جوامع الجامع للطبرسي، ج ١: ٤٩٦.
4- سورة الإسراء: الآية ٧٩.

التوحيد من أمتي وحظر ذلك على من ناصبك أو ناصب ولـــدك مـــن بعدك».[1]

وفي رواية أخرى: قال أمير المؤمنين عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله:

«إذا حشر الناس يوم القيامة نادى مناد: يا رسول الله، إن الله جل اسمه قد أمكنك من مجازاة محبيك ومحبي أهل بيتك، الموالين لهم فيك، والمعادين لهم فيك، فكافئهم بما شئت، فأقول: يا رب الجنة. فأُنادي: فَوَلِّهم منـــها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي وُعدتُ به»[2].

«وأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ».

إن قدم صدق في الدنيا كأصحاب الحسين وأهل بيته حيث ثبـــت الله لهم قدم صدق مع الحسين عليه السلام.

القاسم بن الحسن عليه السلام:

كان القاسم بن الحسن عليه السلام فتى لم يبلغ الحلم عمره ١٢ سنة أو ١١ سنة، أقبل إلى الحسين عليه السلام بعد ما أخبرهم الحسين عليه السلام أنكم ستُقتلون غداً وقال: يا عم، هل أنا فيمن يقتل؟

أراد الحسين أن يختبره قال: يا بني كيف تجد طعم الموت؟

1- كشف الغمة ج ٢ ص ٢٨.

2- آمالي الطوسي ص ٢٩٨ ح ٥٨٦/ ٣٣.

قال: يا عم والله فيك أحلى من الشَهد يعني العَسَل، لما سمع الحسين هذا الجواب قال: نعم يا بني وأنت فيمن يقتل.

ولما كان اليوم العاشر أقبل القاسم بن الحسن بعد مقتل علي الأكبر عليه السلام وهو غلام يقول المؤرخون[1] وجهه كشقة القمر استأذن من الحسين فأذن له، تقدم يقاتل، ملائكة السماء ماذا يقولون؟ يا الله! طفل ١١ سنة وهو بطول السيف، هذه معجزة كربلاء ومشاهد كربلاء، قاتلهم قتالاً عظيماً وأخزى الله هؤلاء القوم الذين يقاتلون طفلاً.

بينما هو يقاتل، انقطع شسع نعله فطأطأ رأسه ليشدّ نعله ولا كأن المعركة حوله، هؤلاء أبطال أبي طالب، قال العبدي: والله لأثكلنّ بهذا الغلام أمه، قيل له: ويحك هذا غلام يكفيك الذين احتوشوه، أقبل عليه فضربه على رأسه، خر القاسم صريعاً ينادي وا عماه! أقبل إليه الحسين، جلس عنده وهو يقول: يعزّ على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك، قتل الله قوماً قتلوك، ثم حمله إلى المخيم، وكان الحسين كلما يُقتل واحد يحمله إلى المخيم.

1- راجع مقتل الحسين لابي مخنف: ١٦٩.

مشاهد كربلاء:

في كربلاء مجموعة مشاهد للحسين (عليه السلام) مع أهل بيته:

المشهد الأول: مشهد الحسين مع العباس (عليه السلام)، لم يستطع حمله إلى المخيم، تقول الروايات إن العباس هو الذي امتنع وطلب من الحسين أن لا يحمله. وأنا اعتقد أن هناك سبب آخر هو أن الحسين كان غير قادر على حمل العباس لأنه قال: الآن انكسر ظهري، فلا يستطيع حمل العباس.

المشهد الثاني: مشهد الحسين وهو يحمل القاسم (عليه السلام) وهو طفل صغير وصدره على صدره ورجلاه تخطان الأرض.

المشهد الثالث: مشهد الحسين عند علي الأكبر (عليه السلام) لما جلس عنده قال: بُني علي! على الدنيا بعدك العفا.

هنا الحسين أيضا لم يستطع حمل علي الأكبر، لأنه كان مقطعاً إرباً إرباً فصاح يا بني هاشم، يا آل أبي طالب: اقبلوا واحملوا أخاكم، أقبلوا إليه حملوه إلى المخيم.

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

إنا لله وإنا إليه راجعون

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

المحاضرة التاسعة

«الليلة التاسعة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

السِلْمُ والحَرب

في نظرية أهل البيت «عليهم السلام»

بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ».

لا زال الحديث عن مقاطع من زيارة عاشوراء، ومعايشة دلالات وأجواء هذه الزيارة.

هذه الليلة نقف عند هذا المقطع.

يتكرر هذا المقطع مرتين في هذه الزيارة يضاف له في المرة الثانية:

«ووَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ وعَدُو لِمَنْ عَادَاكُمْ».

هذا المفهوم: «سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ» واضح لا يحتاج إلى شرح لكن نريد أن نقف في دلالات وأجواء فقهية، عقائدية وسياسية حول هذا المقطع.

نظرية الإسلام في السلم والحرب:

التاريخ الإسلامي مليء بالحروب، بعضها حق وبعضها باطل فما هو رأي الإسلام وأهل البيت عليهم السلام فيها؟

إبتداءاً إن الإسلام هو دين السلم ، وما نَشَر السلم والمحبة في العالم كمثل الأديان، وحينما تأسست الدولة الإسلامية الكبرى (الإمبراطورية الإسلامية الكبرى إذا جاز التعبير) كان السلم هو الذي يسودها، حتى تلك الشعوب التي خضعت للتحرير الإسلامي ودخلت الإسلام جديداً.

إن تحية الإسلام هي (السلام عليكم) وفيها توزيع السلام وحينما يلتقي المسلم بمسلم آخر فليست التحية بينهما: صباح الخير ومساء النور فإنها مصطلحات جديدة ولا نقول إنها خطأ وإنشاء الله صباح الخير ومساء النور دائماً وللجميع لكن التحية الإسلامية هي «السلام عليكم».

من أسماء الله: (السلام) وأحد أسماء الجنة هو(دار السلام) قال تعالى:

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1].

وتحية المؤمنين يوم القيامة هو السلام أيضاً:

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[2].

هذا السلام متبادل، يعني المؤمنون يحيّي بعضهم بعضاً بالسلام، والله تبارك وتعالى يحيهم بالسلام أيضاً، ولهذا الملائكة تقول للمؤمنين:

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[3].

1- سورة الأنعام: الآية ١٢٧.
2- سورة الأحزاب: الآية ٤٤.
3- سورة الحجر: الآية ٤٦.

المؤمن في الجنّة:

انظروا إلى انتشار السلام، تقول الرواية: حينما يستقر المؤمن، مع الحور العين في قصره في الجنة يوم القيامة _ طبعاً الروايات حينما تقول: تعني المؤمن والمؤمنة _ يأتي قبيل يعني آلاف من الملائكة، يريدون السلام عليه، فهذا المؤمن جاء إلى الجنة لتوّه وقد تعب في الدنيا وقضى في عالم القبر آلاف السنين ويرى الآن الجنات والانهار والحور، تأتي الملائكة تريد أن تهنئه بما وصل إليه فيقول البوابة والحجّاب: إنه مشغول بأهله، هو وزوجته، لا تنغّصوا عيشه، رجاءً انتظروا!

فينتظر الملائكة حتى يؤذن لهم، فيدخلون على المؤمن في قصره ويقولون: السلام على الحي الذي لا يموت من الحي الذي لا يموت[1].

وادي النجف الأشرف اسمه (وادي السلام) يعني أن الإسلام يبحث عن السلام في الدنيا، السلام في القبر، السلام في الآخرة، الإسلام يريد السلام للناس.

نقول في كل صلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لاحظ هذه الصلاة التي هي عبادة بين الإنسان وبين الله كيف تحولت من بين الإنسان وبين الله، إلى بين الإنسان والإنسان.

1- انظر ما يقرب من هذا المعنى إلى ما رواه القرطبي في تفسيره، ج ١٩: ١٤٤.

أم المؤمنين خديجة زوجة رسول الله وصاحبة المنـــزلة العظيمة، حينما هبط جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله يبلغه: يا رسول الله قل لخديجة إن الله يقرئها السلام.

قالت: _ انظر إلى جواب خديجة، إنه في غاية الكمال والمعرفة _ الله هو السلام، ومنه السلام، واليه يعود السلام[1] _ حيث لا يصح القول لله: وعليه السلام فإن الله هو مصدر السلام _ إنه معنى عظـــيم لا يفهمـــه الفلاسفة إلاّ بشق الأنفس ولكن خديجة بفطرتها النقيّة ادركت ذلك.

هذا جوهر الإسلام.

الحرب في الإسلام:

وهل يعني هذا إن الإسلام لا يؤمن بالحرب ويرفـــضها؟ إذن كيـــف كانت الحروب التي حدثت في زمن رسول الله؟

الإسلام يدعو للسلام، لكن في الوقت نفسه لا يرفض الحرب إذ أن لها موقعاً في النظرية الإسلامية، وتكون مشروعة حينما تكون دفاعـــاً عـــن الدين والأنفس و المستضعفين والمظلومين، قال تعالى:

﴿ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾[2].

1- نحوه في تفسير العياشي، ج ٢: ٢٧٩، ح ١٢، والمعجم الكبير للطبراني، ج ٢٣: ١٥...
2- سورة النساء: الآية ٧٥.

أعطى الإسلام عنوانين: تارة القتال في سبيل الله والدين، وتارة الدفاع عن المستضعفين، وهذا يرجع إلى انتشار السلام، يعني إذا سمع الإسلام أن هناك تهديداً لأمن مجموعة من الناس في أقصى الأرض فنحن مكلفون في الدفاع عنهم فلا يقول أحدكم: هؤلاء ليسوا أقربائي، ولا أولاد عمي و ليسوا مسلمين. في أي عدوان على الإنسان نحن مكلفون في الدفاع عنه، هذا هو الإسلام.

يمتلئ قلب الإنسان المسلم والمؤمن أذى وألماً إذا سمع باعتداء على مجموعة من الضعفاء المساكين السود العبيد في أفريقيا ولو استطاع أن يدافع لوجب عليه.

الحرب إذن مشروعة، ولكن ليست هي الأصل، بل الأصل هو السلام والحرب مطلوبة من أجل السلام.

شرطان لجواز الحرب:

تجوز الحرب ضمن شرطين:

١ _ تحكيم المصالح الإسلامية الكبرى إذ يجب أن ننظر إليها نظرة شمولية.

٢ _ يكون القرار السياسي بالحرب أو السلم من الإمام، وليس لاندفاعات شخصية فتتحول البلاد إلى فوضى، لكل رأيه.

توضيح:

أسامة بن زيد ـ كمثال ـ ذو تاريخ نظيف، ولكن أخفق في تشخيص الموقف الصحيح في مقطع من المقاطع.

روى علي بن إبراهيم في تفسيره: في قوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾[1] الآية، أنها نزلت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة خيبر، وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك، ليدعوهم إلى الإسلام، كان رجل [من اليهود] يقال له: مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى، فلما أحس بخيل رسول الله صلى الله عليه وآله، جمع أهله وماله في ناحية الجبل فأقبل يقول: أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله فمرَّ به أسامة بن زيد فطعنه فقتله فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله «قتلت رجلا شهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله» فقال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذا من القتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فلا شققت الغطاء عن قلبه ولا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت؟!» فحلف أسامة بعد ذلك أن لا يقتل أحدا شهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وفي هذه القصة نزل قوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾.[2]

1- سورة النساء: الآية ٩٤.
2- تفسير القمي، ج ١: ١٤٨.

ولذا عندما صارت حروب أمير المؤمنين مع الناكثين والقاسطين والمارقين و اشتدت الأمور عليه ﵇ وكان يطلب الناصر لم يلتحق أسامة بركب أمير المؤمنين لأنه أقسم أن لا يقاتل مسلماً أبداً، وهذا خطأ ثان.

مشكلة الإنسان هي أنه يفقد التوازن، فمرة يفرط فيكون أقصى اليمين، ومرة أقصى اليسار، أنت قتلت شخصاً قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله و جاء العتب القرآني وكان يمكن أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وآله منك الموقف، لكن أن تدخل في أقصى اليسار مرة ثانية وتقول إني لا أقاتل مسلماً حتى لو كان يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم حتى لو كان يهدم الكعبة فانه خطأ ثان.

إن القتال في النظرية الإسلامية يجب أن يخضع إلى مصدر القرار السياسي وهو الإمام الشرعي، فهو الذي يشخص المرحلة، أما إذا لم يكن بيننا إمام شرعي فلا تخدعنا العناوين، وإن رفع مروان بن الحكم وهارون الرشيد وصدام حسين وأمثال هؤلاء من مجرمي التاريخ راية الإسلام يجب أن لا يخدعنا، صدام دعا إلى مواجهة أمريكا، لكن هل كان صادقاً في نيته؟ خُدع كثير من الناس في الشارع العربي والإسلامي، إنهم مساكين صدّقوا أن صدام يقاتل أمريكا وإسرائيل بينما هو يوفد خفية رسلاً ويتفق معهم باني لا أصيب إسرائيل وأمريكا بأذى أبداً، ابقوني على الملك والعرش فقط.

لقد انخدع الكثير من الناس في الشارع العربي والإسلامي وظنوا أن صدام بطل الأبطال، أما شيعة أهل البيت فإنهم على وعي كامل بالحقيقة، فإنهم لا يقاتلون _ كما صنع صدام _ الجمهورية الإسلامية يوماً والكويت يوماً آخر ويحشد الجنود ضد سورية يوماً آخر، فهذه متناقضات ولا يمكن أن يصدر عن هذا النمط من التفكير الانتهازي قرار سياسي، لأنها ليست قضية دفاع عن الإسلام والوطن، بل هذه عنتريات بالاصطلاح العام.

الإسلام يؤمن بالحرب الدفاعية، لكن أولاً مع تحكيم المصلحة الإسلامية الكبرى، وثانياً كون المصدر هو الإمام الشرعي.

أمير المؤمنين عليه السلام حينما اُبعد واُقصي عن الحكم والخلافة دعاه بعضهم أن يقاتل، لكنه رأى أن ليس من مصلحة الإسلام الكبرى أن يدخل في حرب والمعركة خاسرة حسب تشخيصه، ولهذا امتنع عن البيعة وقام بمقاطعة مع حكومة الأول والثاني ، في البداية كانت مقاطعة كاملة، لكنه كسر المقاطعة بعد ذلك والسبب كما قال عليه السلام:

«فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ».

أي فوجئت بان الناس بايعوا غيري، ولا كأنهم بالأمس بايعوني.

«فَأَمْسَكْتُ يَدِي _ أي عملت مقاطعة _ حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ».

حيث بدأ الأعراب في أطراف المدينة ومكة يرتـدون عـن الإسـلام وأصبح الإسلام في خطر.

«يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِّينِ مُحَمَّدٍ ص فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمْ».[1]

إن خسارة الإسلام وانهياره أعظم خطراً من أن أُبعد عن الإمامة، طبعاً تذكر بعض الروايات التاريخية أن التحاق الإمام عليه السلام وكسر المقاطعة كان بعد وفاة الزهراء مباشرة، وتقول روايات أخرى أن ذلك كان بعد ستة أشهر من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله[2]، المهم إن الإمام علي عليه السلام حاول أن ينسجم مع الحكم القائم.

ليست القضية شخصية، بل انما هو تحكيم المصلحة الإسلامية الكبرى، يقول عليه السلام:

«لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً»[3].

أي مادامت أمور المسلمين سالمة و لم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة فأنا أسلّم، الإسلام والمسلمين يجب أن يكونوا في سلام.

وهذا المبدأ وهو تحكيم المصلحة الإسلامية العليا هو الذي سمح للإمام الحسن عليه السلام أن يصالح، والإمام الحسين عليه السلام أن يقاتل.

1- نهج البلاغة، ج ٣: ١١٩، الكتاب ٦٢.
2- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢: ٢٢.
3- نهج البلاغة، ج ١: ١٢٤، الكلام ٧٤.

رحمة الله على سيدنا وشهيدنا شهيد المحراب[1] أعطى بكلمة مـــوجزة تحليلاً رائعاً وتشخيصاً دقيقاً لموقف مراجع الدين في أول خطبة خطبها في الصحن الشريف حينما دافع عن المرجعية الدينية والحوزة وقال:

إن هذه الحوزة الدينية دافعت عن الإسلام وعن الدين في العراق مـــرة بجهادها وكفاحها، ومرة بصبرها وصمودها واستقامتها. وَسَلِمَ الإســـلام في العراق ببركة هذه الجهود بشكل جهادي أو بشكل صـــبر واســـتقامة وثبات حتى لا تنهار الشعلة الدينية في العراق، إنه تشخيص دقيق وصحيح وتحكيم المصالح الإسلامية الكبرى وليست المشتهيات.

قضية خالد بن الوليد:

يوصف خالد بن الوليد بأنه سيف الله المسلول لكن تعـــالوا وانظـــروا كيف كان ومن قتل؟!

كان أول من جَهَزَّ الجيوش (ثلاثة الآف من قبائل أســـلم) فـــدخلت المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيطرت على الحكـــم، وأُقصي الإمام علي عليه السلام، واستتب الحكم للخليفة الأول.

1- آية الله السيد المجاهد محمد باقر الحكيم (قدس سره) الذي اغتالته الأيادي الأثيمة عند انتهائه من أداء صلاة الجمعة وخروجه من الصحن الحيدري الشريف.

حينما دخل خالد الإسلام صار حرباً على أهل البيت، وقبل ان يدخل الإسلام كان قائد القوات المسلحة للمشركين في معركة أحد مقابل رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقعت حروب الردة، وكان موقف خالد بن الوليد ليس ضد أولئك الذين ارتدوا عن الإسلام بل ضد شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

مالك بن نويرة:

جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام وقال: يا رسول الله علّمني الإسلام قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: علمني ما أدخل به الجنة، قال: تصلي وتصوم وتزكي، وعليك بطاعة هذا الجالس، وكان الجالس علياً عليه السلام فقال: مد يدك يا رسول الله، فمد يده ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، أصلي وأصوم والتزم بطاعة هذا الجالس وهذه بيعة مني له وخرج من المسجد، والمسلمون جالسون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا المدبر[1]، فنظر إليه الناس وإذا هو مالك بن نويرة، مرت الأيام والسنين ومات رسول الله صلى الله عليه وآله، أرسل الخليفة الأول من يجمع الزكاة فوصلوا إلى مالك وطلبوا منه الزكاة فقال:

1- راجع ما رواه ابن شاذان في الفضائل: ٧٥.

لمن؟

قالوا: لخليفة المسلمين.

قال: من خليفة المسلمين؟

قالوا: أبوبكر.

فقال: أمرني رسول الله ببيعة علي ابن أبي طالب، والله لا أعطي الزكاة إلا لمن أوصاني به، أما الخليفة غير الشرعي فلا أعطيها.

قال خالد بن الوليد الذي جهز جيشاً لجمع الزكاة: ضيّفنا عندك، فقال: على الرحب والسعة، أهلاً وسهلاً. واتفق خالد مع قواته أن ينام في بيت رئيس العشيرة مالك بن نويرة، وقال لهم، إذا حل نصف الليل وسمعتم شعار (أدفئوا ضيوفكم) فليقم كل واحد ويذبح صاحبه في فراشه! هذا هو خالد بن الوليد نموذج الإسلام! إلى الآن مع الأسف ما زالت جرائمه تدرس في مناهج أبنائنا ولا تدرس بطولات علي عليه السلام!

قام خالد لمالك بن نويرة وقطع رأسه في مكانه! نظر إلى زوجته لوحدها في البيت فقاربها واعتدى عليها! أصبحت القضية مكشوفة وفضيحة كبيرة.

لماذا ذبحت هؤلاء إنهم ما أعطوا الزكاة ولكن لم يكفروا!؟ ثم إنكم ضيوف عندهم ثانياً، وثالثاً لماذا ارتكبت جريمة أخلاقية!؟

وهذه القضية ثابتة عند كل المسلمين دون شك ولذا كان عمر بن الخطاب _ وبينه وبين خالد بن الوليد منافسة على الحكم _ يطالب بجلده

لأنه ارتكب هذه الفاحشة مع زوجة مالك بن نويرة، فقال له أبو بكر: لولا خالد لم نصل إلى الحكم، فعفا عنه.[1]

ومع الأسف يمر غير أتباع أهل البيت على هذه القضايا مر الكرام ولا يذكرونها ويعتبرون خالداً سيف الله المسلول! وهو الذي قام بهذه الفجائع.

على كل حال، فان هذا ليس قتالاً من أجل الإسلام ولابد عند الدفاع عن الإسلام أن يلاحظ فيه تحكيم المصالح الإسلامية الكبرى.

الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«جاء شخص إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) في طريق مكة وقال: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت إلى الحج والله تبارك وتعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] فقال له الإمام زين العابدين: أكمل الآية:

فقرأ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

1- راجع قصة خالد بن الوليد وقتله مالك بن نويرة ومضاجعته امرأته من ليلته، وأن أبا بكر ترك إقامة الحد عليه وزعم انه سيف من سيوف الله... في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٧: ٢٠٢، وتاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٣٢...

2- سورة التوبة: الآية ١١١.

3- سورة التوبة: الآية ١١٢.

فقال (عليه السلام) متى ما وجدنا من هذه صفتهم فالجهاد معهم[1] أفضل من الحج» وإلا فنحن غير مستعدين أن نقاتل مع أمثال يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم، أنت قدّم لي هؤلاء الذين يحملون راية الإسلام وهم التائبون العابدون الصائمون الصادقون القانتون المسبحون الذاكرون فسوف نقاتل معهم وبذلك تكون الراية شرعية وإلا فلا تنطبق الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى..﴾.

تكون لهم الجنة حينما تكون القيادة شرعية صحيحة وهذا هو الشرط الثاني: كون القرار السياسي بيد الإمامة.

القرار السياسي بيد من؟

اختلفت المذاهب الإسلامية (الأشاعرة، الزيدية، الخوارج، والإمامية الإثنا عشرية) في مسألة الحرب والسلم.

المذهب الأول:

وهو الذي يمثل الآن وهو المدرسة السنية الخاضعة عقائدياً للمذهب الأشعري، وفقهياً للمذهب الحنبلي أو الشافعي أو الحنفي أو المالكي، وهي ترى أن الإمامة والسلطان لمن غلب، يزيد كان أو مروان أو علي

1- الكافي للكليني، ج ٥: ٢٢، باب (الجهاد مع من يكون)، ح ١.

بن أبي طالب، كل من يغلب يصير هو الأمير ويجب علينا طاعته، (الطاعة لمن غلب).[1]

ورأي هؤلاء من عجائب الآراء، فإذا خرج خارج ضد الإمام الحاكم وجب قتله، لكن إذا انتصر تجب طاعته لأنه أصبح أمير المؤمنين![2] حتى إذا لم يصلّ وكان مجرماً وشارباً للخمور وكان له ألف جارية وبحيرات من الخمر! مثل هارون الرشيد يكون هو الحاكم عند الأشعري وغيره، ويسلمون عليه بـ (السلام عليك يا أمير المؤمنين!) وهو أمير الفاسقين!

المذهب الثاني:

المذهب الزيدي وهو مذهب شيعي .

للزيدية ولاء لأهل البيت ولأمير المؤمنين لكن لا نسميهم إمامية اثني عشرية _ وأنتم اسمكم تاريخيا وعلمياً إمامية إثنى عشرية _ وهم عدة ملايين موجودون إلى اليوم في اليمن وعُمان، هم شيعة يؤمنون بعلي بن أبي طالب ولكنهم في الموقف السياسي اختلفوا مع أئمتنا عليهم السلام نظريتهم هي أن من شروط الإمام والخليفة الشرعي أن يكون شاهراً سيفه، أما إذا كان الإمام _ حتى إذا كان معصوماً _ لا يقاتل مثل الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام تحكيماً للمصالح الكبرى فان الإمامة تنصرف عنه، لان من شروطها أن

1- انظر شرح صحيح مسلم للنووي، ج ٥: ١٤٩، نيل الأوطار للشوكاني، ج ٤: ٢١٩، فتح الباري لابن حجر، ج ١٣: ١٠٩...

2- انظر المغني لابن قدامة، ج ١٠: ٥٢.

يكون قرشياً علوياً مقاتلاً شاهراً سيفه، اتباع هذا المذهب سمّوهم بـ الزيدية لأنهم أتباع زيد بن علي (الإمام السجاد) وكان رحمه الله بطلاً من الأبطال مقاتلا في سبيل الله، يقول الإمام الصادق: «رحم الله عمي زيداً»[1] قاد ثورة بعد الحسين عليه السلام وقُتل، وأخذ إجازة من الإمام الباقر عليه السلام، وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد أي الحكومة العادلة.

هذا الرأي الزيدي خطأ أيضاً لأن المصلحة الإسلامية هي صاحبة الأولوية في أن يقاتل الإمام أو يصالح، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا»[2].

بإجماع المسلمين لا يمكن أن نفرض موقفاً على الإمام بأن يقاتل وإلا فانه ليس بإمام.

المذهب الثالث:

هو مذهب الخوارج، و رأيهم هو أنه لا ضرورة للإمام أصلاً![3] فإذا اختلف الأئمة بينهم فنحن ننطلق بمبادرات ذاتية وفردية بدون قيادة فلا يخضع قرار السلم والحرب للقيادة، كل مجموعة من ثلاثة وأربعة وخمسة يشكلون عصابة وليبدؤوا بقتل أئمة المسلمين فلا إشكال! ولذا قتلوا الإمام علي ابن أبي طالب، ثم صارت نظريتهم هي أن السلم والحرب وتشخيص القرار السياسي لا يخضع لقرار الإمامة.

1- عيون أخبار الرضا للصدوق، ج ٢: ٢٢٥، كفاية الأثر للخزاز القمي: ٣٠٦.
2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ٣: ١٦٣، كشف الغمة للأربلي، ج ٢: ١٥٦.
3- راجع شرح التجريد للعلامة الحلي: ٣٨٨ (تحقيق الزنجاني).

المذهب الرابع:

هو مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ونظريتهم في السلم والحرب هي أنهما يخضعان لقرار إمامة شرعية، فإذا قررت الحرب صار الموقف الشرعي هو الحرب وهكذا السلم.

جاء شخص اسمه عبد الملك إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: إن الزيدية يقولون: ليس بيننا وبين جعفر (الإمام الصادق) خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد، فقال: «أنا لا أراه؟! بلى والله إني لأراه، ولكن أكره أن أدع علمي إلى جهلهم»[1].

فالجهاد له شروط وتشخيص المصالح الكبرى، فلا يمكن الانطلاق من منطلقات واجتهادات فردية ومزاجية، إني غير مستعد لترك تشخيصي للواقع الخارجي ولمصالح الإسلام لمجرد أن مجموعة من الناس تريد أن تفرض علينا رأياً معيناً.

معنى سلم لمن سالمكم:

على هذا الأساس ما معنى: إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم؟

أولاً: نحن نؤمن أن الإسلام يؤمن بالسلم والحرب كل في موقعه، نحن سلم عند السلم، وحرب عند الحرب يعني لا سلم مطلقاً، ولا حرب مطلقاً، يعني لا نكون مثل الخوارج ولا مثل الزيدية ولا مثل الأشعرية،

1- الكافي للكليني، ج ٥: ١٩، ح٢.

نحن سلم عندما تتطلب المصلحة الإسلامية، وحرب عندما تتطلب هذه المصلحة.

ثانياً: إن قرار السلم والحرب للإمامة الشرعية، سلم لمن سالمكم يعني أنتم مصدر القرار ومحور القيادة، إذا قررتم السلم فنحن سلم لمن يسالمكم، وإن قررتم الحرب فنحن حرب لمن حاربكم.

أنظروا إلى هذا الربط بين موقفنا وموقفهم، نحن لا نعتقد بإمامة أخرى، ولا نسمح أن نشخص المواقف ثم نقول نحن سلم لمن يقدم لنا خدمات ويصافحنا بيده وحرب لمن يقاطعنا، لا ليس كذلك، نحن سلم لمن يسالم الإمام الشرعي، وحرب لمن يحارب الإمام الشرعي، و القرار السياسي بيد الإمام الشرعي.

إذن هي جملة بسيطة في زيارة عاشوراء لكن ذات دلالات سياسية وعقائدية وفقهية **(نظرية السلم والحرب في الإسلام)**.

وهذا الأمر نأخذه من رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»[1] وقال:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[2].

1- معاني الأخبار للصدوق: ٦٧، ح ٨، الأمالي للطوسي: ٢٥٥، ح ٤٥٩ / ٥١، مسند أحمد، ج ١: ١١٨.

2- الخصال للصدوق: ٣١١، ح ٨٧، صحيح مسلم، ج ٧: ١٢٠...

وأودعه علمه وحكمته فقال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[1]، وقال: «أنا دار الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب».[2]

مصيبة الطفل الرضيع عليه السلام:

هذه ليلة التاسع من المحرم يخصصونها لمصيبة عبد الله الرضيع.

أول من تقدم إلى الميدان من بني هاشم هو علي الأكبر، وآخر من ختم به سجل الشهداء هو علي الأصغر، يا لها من شهادة مباركة، قال الحسين عليه السلام: اللّهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخُلقاً بنبيك محمد صلى الله عليه وآله، وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه، برز علي الأكبر وقاتل حتى قتل.[3]

ولما لم يبق مع الحسين من أهل بيته ولا من أصحابه، أقبل إلى الخيام ودعا بولده الرضيع. تقول الرواية إن الحسين أخذ الرضيع وضعه في حجره وهو ينظر إليه وكان عطشاناً ثم أقبل به إلى القوم وقال: يا قوم اسقوا هذا الرضيع، إن خفتم أن اشرب من الماء خذوه واسقوه أنتم، بينما الحسين على هذا الحال وإذا بسهم ذبح الرضيع من الوريد إلى الوريد!

1- كنز العمال لمتقي الهندي، ج ١٣: ١٤٨، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ج ١: ١٣٧.
2- الأمالي للصدوق: ٦١٩، العمدة لابن البطريق: ٢٩٥، ح ٤٨٩.
3- راجع مقتل الحسين لابي مخنف: ١٦٢.

إمامنا الحجة يقول: السلام على عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع، المرمي الصريع[1]...

إمامنا الحسين أخذ كفاً من دمه ثم رماه إلى السماء، فلم يرجع منه شيء[2]، المصيبة لما رجع الحسين إلى الخيام، أنا لا أدري بأي حال رجع، إنه مفجوع ولكن كيف يفجع أم الرضيع والنساء، هذه المشكلة أصعب، كيف رجع الحسين؟ كيف أمكنته قدماه أن يمشي إلى الخيام؟

أقبلت زينب والرباب وسكينة تقول: أبه! هل سقيت أخي الرضيع الماء وجئتنا ببقيته؟ قال: خذي أخاك مذبوحاً.

إنا لله وإنا إليه راجعون

1- إقبال الأعمال لابن طاووس: ٧٤.
2- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ٦٠، مناقب آل أبي طالب لان شهر آشوب، ج٣: ٢٥٧.

المحاضرة العاشرة

«الليلة العاشرة / محرم الحرام / ١٤٢٥»

مقام الصابرين والشاكرين

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصَابِهِمْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَظِيمِ رَزِيَّتِي».

نقف هذه الليلة وهي ليلة العاشر من محرم الحرام، ليلة تجسم المصاب والرزية نقف عند المقطع الأخير من زيارة عاشوراء، وفي الحقيقة هو الدعاء بعد الزيارة:

بعد أن يزور الإنسان الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام يتمم الزيارة بحمد الله وشكره وطلب شفاعة الحسين عليه السلام.

مقام الشكر ومقام الصبر:

هناك مقامان: مقام الشكر ومقام الصبر، مقام الشاكرين ومقام الصابرين وأحياناً تجمع الأدعية بين هذين المقامين، كما في أدعية شهر رجب:

«اللهم إني أسألك صبر الشاكرين لك»[1].

1- مصباح المتهجد للطوسي: ٨٠٢.

يعني أكون صابراً مضافاً إلى أن أكون شاكراً، هناك إنسان صابر لكنه غير راض، مجبور أن يصبر، وهناك إنسان صابر وفرحان بما أصابه، وشاكر لله، طبعاً الفرق كبير بين صابر ولكن غير راض وغير فاهم للقضية بأنها نعمة و فضل من الله وبين صابر وعارف بحجم القضية بأنها نعمة وفضيلة وشرف، فيكون صبره صبر الشاكرين.

مقام الصابرين:

على كل حال نقف عند مقام الصابرين لأنّ زيارة عاشوراء تذكر المقامين معاً، يقول: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين لك ، وفي المقطع الآخر يقول:

«اللهم اجعلني في مقامي هذا ممن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة».

وهذا هو مقام الصابرين.

لاحظوا هذا الربط مع القرآن الكريم، فلا يوجد شيء بدون ربط مع القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]. الدعاء يقول «اللهم اجعلني في مقامي هذا ممّن تناله منك صلوات ورحمة

1- سورة البقرة: الآيات ١٥٥ ــ ١٥٦.

ومغفرة». والآية تؤكد أن هذا الثواب وهو الصلوات والرحمة _ انما هو للصابرين ومعنى ذلك أن الدعاء هو طلب لمقام الصابرين.

حديثنا الليلة عن مقام الصابرين ومقام الشاكرين.

مقام الشاكرين:

القرآن الكريم يقول:

﴿وَوَصَّيْنَا الإنسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ﴾[1].

هذا مقام الشكر لله تبارك وتعالى، الشكر على النعمة هو مسألة طبيعيّة، لابد أن تقول: الحمد لله، لكن الشكر على البلاء والمصيبة فانه مقام عظيم، ولا يصل إليه كل إنسان.

هناك دعاءان في شهر رمضان أحدهما دعاء الجوشن الكبير، والآخر دعاء الجوشن الصغير.

حينما بعدنا عن اللغة العربية أصبحنا لا نفهم الكلمات العربية كثيرا، ربما أكثركم لا يعرف معنى (الجوشن) انه يعني الدرع[2]، ودعاء الجوشن

1- سورة لقمان: الآية ١٤.
2- الصحاح للجوهري، ج ٥: ٢٠٩٢.

الكبير قد علمه الله تبارك وتعالى رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد حروبه بأن يتدرع به وهو من الأدعية العظيمة.[1]

ودعاء جوشن الصغير ويعني الدرع الصغير هو الذي قرأه إمامنا الكاظم عليه السلام حينما أراد الهادي العباسي قتله، ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام يخبره بنجاته وهلاك الطاغية.[2]

في هذا الدعاء العظيم الرائع _ ويا ليت عندنا فرصة لشرح هذه الأدعية ومعانيها الجميلة التي هي أجمل من كل حديث _ يقول الإمام بعد كل مقطع:

«اللهم صل على محمد وآل محمد، واجعلني لنعمائك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين».

هذا هو تأكيد لمقام الشاكرين.

القرآن يصف نوحاً عليه السلام بأنه كان عبداً شكوراً[3]، تقول الروايات إنه كان عندما يستيقظ في الصباح يقرأ هذا الدعاء:

«اللهم إني اُشهِدُك انه ما أصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك الحمد ولك الشكر بها عليَّ حتى ترضى وبعد الرضا».[4]

1- البلد الأمين للكفعمي: ٤٠٢، عنه البحار للمجلسي، ج ٧٨: ٣٣١، ح ٣٢ و٣٣، وج ٩١: ٣٨٢.

2- مهج الدعوات للسيد ابن طاووس: ٢٢٧، عيون أخبار الرضا للصدوق، ج ٢: ٧٦، ب ٧، ح ٧.

3- قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ الإسراء: ٣.

4- الكافي للكليني، ج ٢: ٩٨، ج ٢٨ _ ٢٩.

هذا الشكر حينما يكون عند البلاء يكون في مرتبة الأنبياء والأولياء، ولا يقدر عليه كل شخص إنها مرتبة الأولياء والعارفين.

إن شيعة أهل البيت بحمد الله تعالى يتعلمون هذه القضايا، ولهذا هم مع مصيبة الحسين عليه السلام وحزنهم ودموعهم وعظيم رزيتهم يقولون: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين لك على مصابهم.

من أين حصلت هذه المعرفة عند هؤلاء؟

هذه معرفة الأنبياء، إن الملائكة يعجبون بمنطق شيعة أهل البيت وتربيتهم، يقولون بعد كل زيارة: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين لك على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيتي، فالرزية بالحسين رزية عظيمة، هذا الشكر عند الرزية والمصيبة يحتاج إلى معرفة.

هذا الشكر يأتي من معرفة الحقيقة، لان الإنسان لجهله بالحقيقة يتصور أن هذه خسارة، إنما يعرف الحقيقة حينما يرى ذلك تقديراً من الله تبارك وتعالى و نعمة و شرفاً، وهذا فضل لا يناله كل أحد، ولهذا عندما نقرأ هذا المقطع في دعاء ندبة صاحب العصر والزمان عليه السلام:

«اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك» القضاء الذي جرى من الله تبارك وتعالى «في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذا اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية

وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقرّبتهم... وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك».[1]

نحن نحمد الله تعالى على ما جرى من قضاء على الأنبياء والرسل، هو اختارهم لذلك، ونحن أتباعهم أيضاً كذلك، لك الحمد على ما جرى به قضاؤك على أوليائك.

ما هو القضاء الذي جرى في أولياء الله تعالى؟

اختارهم ولكن قُتلوا وشُرّدوا وأصابهم ما أصابهم، هذا هو قضاء الله.

ثواب الشيعة:

هذه رواية هي بشرى في الحقيقة أعددتُها لكي أقرأها عليكم:

عن أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) يقول: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«... من خرج من الدنيا لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ثم تلا هذة الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾[2] ثم قال صلى الله عليه وآله: من شيعتك ومحبيك يا على قال أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا رسول الله هذا لشيعتي؟ قال: أي وربي انه لشيعتك وانهم ليخرجون يوم القيامة من قبورهم، وهم يقولون: لا اله الا الله محمد رسول الله على بن

1- إقبال الأعمال لابن طاووس، ج ١: ٥٠٤.
2- سورة النساء: الآية ٤٨.

أبي طالب حجة الله فيؤتون بحلل خضر من الجنة، وأكاليل من الجنة وتيجان من الجنة، ونجائب من الجنة، فيلبس كل واحد منهم حلة خضراء، ويوضع على رأسه تاج الملك، واكليل الكرامة، ثم يركبون النجائب فتطير بهم إلى الجنة، ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]»[2].

سجدة الشكر:

«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سجدة الشكر واجبة على كل مسلم، تتم بها صلاتك، وترضي بها ربك، وتعجب الملائكة منك، وإن العبد إذا صلى ثم سجد سجدة الشكر فتح الرب تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي، أدى فرضي وأتم عهدي، ثم سجد لي شكرا على ما أنعمت به عليه، ملائكتي، ماذا له عندي؟ قال: فتقول الملائكة: يا ربنا رحمتك، ثم يقول الرب تبارك وتعالى: ثم ماذا له؟ فتقول الملائكة: يا ربنا جنتك، فيقول الرب تعالى: ثم ماذا؟ فتقول الملائكة يا ربنا كفاية مهمة، فيقول الرب تعالى: ثم ماذا ؟ فلا يبقى شيء من الخير إلا قالته الملائكة، فيقول الله تعالى يا ملائكتي، ثم

1- سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.
2- من لا يحضره الفقيه للصدوق، ج ٤: ٤١١، ح ٥٨٩٦.

ماذا؟ فتقول الملائكة يا ربنا لا علم لنا، فيقول الله تعالى: لأشكرنه كما شكرني، وأقبل إليه بفضلي واريه رحمتي»[1].

كل ما أعطيه قليل بحقه، أنا ربه وأقول له: يا عبدي أنا أشكرك. عجيب مقام هذا الإنسان حينما يشكر الإنسان الله تعالى يقول له الله شكراً لك أيضاً.

هذا مقام الشاكرين، والشكر يكون على المصيبة أيضاً وليس على النعمة فقط وهذا ما يوجد في زيارة الحسين: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين لك على مصابهم، ومقام الصبر هو: اللهم اجعلني في مقامي هذا ممن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة.

أنواع الصبر:

هذا مقام الصابرين وتشير إليه الآية:

﴿وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إنا لله وإنا إليه راجعون أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ورَحْمَةٌ وأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2].

الصبر على المرض ومشكلات الدنيا ومختلف البلاء هو صبر أيضاً، وله ثواب عظيم، ولكنه ليس ذلك الصبر الذي أوصى الله به أنبياءه، وجعله من صفات أولي العزم:

1- من لا يحضره الفقيه للصدوق، ج ١: ٣٣٣، ح ٩٧٩ التهذيب للطوسي، ج ٢: ١١٠، ح ٤١٥ / ١٨٣.
2- سورة البقرة: الآية ١٥٥.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1].

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2].

هناك صبر آخر يوصي الله نبيه:

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾[3].

إنه الصبر على معاناة العمل والمبدء والثبات على العقيــدة ومواصــلة طريق الدفاع عن الحق، والارتباط بالحق فانه يحتاج إلى صبر وعمل.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾[4].

هذا نسميه الصبر على العمل لله وهو صعب وهكذا الارتباط بأهل البيت ففيه ضريبة، وفي الثبات على الحق ضريبة ومعاناة، والشيعة صبروا هذا الصبر.

خمس أمور مهمة:

لأمير المؤمنين عليه السلام وصية مهمة أقرؤها لكم للتبرك وانشراح الصدر إذ أن الصدر ينشرح لكلام أمير المؤمنين:

«أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلًا .

لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ.

1- سورة الأحقاف: الآية ٣٥.
2- سورة لقمان: الآية ١٧.
3- سورة المزمل: الآية ١٠.
4- سورة لقمان: الآية ٢٤.

وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ.

وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ.

وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ.

وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ»[1].

يوصي علي عليه السلام بالصبر على معاناة العمل ومشاكله، كان الإنسان _ أيام نظام صدام _ يُلاحق على زيارته للإمام الحسين عليه السلام، يحتاج الإنسان إلى الصبر أمام الإغراءات والإرهاب، يقول الإنسان أنا مؤمن ولكن لا صبر له، هذا إيمانه كجسد ليس فيه رأس. ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾[2] هذه وصية لرسول الله صلى الله عليه وآله ليس على المرض بل على كلام الناس.

الحقيقة أن شيعة أهل البيت صبروا كثيراً على ما يقولون، كنت أقرأ بعض الكتب فوجدت اتهامات كثيرة ضد الشيعة بأنهم مجوس، يهود وشعوبيون! _ عجيب والله مع أنهم يقدّمون أنفسهم لله _ فمن حق الإنسان المسلم الأردني والتونسي وغيرهم أن تضيع عنده الحقيقة لكثرة هذه الشائعات ضد الشيعة.

1- نهج البلاغة، ج ٤: ١٨، ك ٨٢، (ط: دار المعرفة / بيروت).
2- سورة ص: الآية ١٧.

قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾.

ما قال: بما صلّوا وصاموا بل بما صبروا.

هذه الآية نزلت في الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[1].

هنيئاً لكم استبشروا.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾[2].

هذا حديث إجمالي وموجز عن الصبر، هو ما يتحدث به العارفون و العلماء.

أقسام الصبر:

عندنا علماء وعندنا عرفاء، مقام العرفاء أعلى من العلماء حيث وصلوا إلى مرتبة أعلى، عرفوا الحقيقة والحق واكتشفوا قضايا فوق ما ندرسه، هؤلاء نسميهم عرفاء، من هؤلاء العرفاء: الإمام الخميني (ره) _ وهذا

1- سورة الإنسان: ٨ – ١٢، راجع سبب نزول الآيات في كتاب التبيان للشيخ الطوسي، ج ١٠: ٢١١ وشواهد التنزيل للحسكاني، ج ٢: ٣٩٤، ح ١٠٤٢، وتفسير القرطبي، ج ١٩: ١٣٤.

2- سورة الإنسان: الآيات ١٣ – ١٤.

أيضاً من عجائب الدهر، أنتم الآن جالسون في مكان لو كنتم تــذكرون اسم الإمام فيه كان مصيركم الإعدام أيام النظــام البائــد والآن نحــن جالسون في مكان يذكر فيه هذا الرجل العظيم، ويثقف النــاس بثقافــة الإسلام وهي ثقافة أهل البيت، الحقيقة إن هذا سر من الأســرار، هــذا المكان الذي أنتم فيه، الآن هو الحسينية الفاطمية وكان ايام نظام البعــث مركز لمنظمة الحزب لم يكن الخميني عالماً فقط بل كان عارفاً من العرفاء، له كلمة جيدة في الصبر هي أن الصبر على ثلاثة أقسام: الــصبر في الله، والصبر مع الله، والصبر عن الله.

هذا الكلام قد يكون جديداً عليكم، كنتم سامعين بالصبر على المصيبة والطاعة والبلاء، لكن الصبر في الله والصبر مع الله والصبر عن الله هــو شيء جديد عليكم.

الصبر في الله يعني الصبر في طريق الله كالصبر في السجون والصبر على ظلم الظالمين وهو أول مرتبة من مراتب الصبر.

وهناك مرتبة ثانية للصبر هي الصبر مع الله ويعني حينما يصل الإنسان المؤمن إلى مرتبة الاتصال بالله، واللقاء مع الله، وتنكشف له الحقيقــة _ كما الإمام علي عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله[1] _ أصــلاً لا يرى شيئاً غير الله تعالى، صار عنده لقاء مع الله تعالى، كل الوجود مظهر من مظاهر وجود الله تعالى، لا شيء إلا إرادة الله تعالى، حينمــا يــصل

1- شرح أصول الكافي للمازندراني، ج ٣: ٨٣.

الإنسان إلى هذا المقام وهو مقام عظيم، مقام العارفين حينئذٍ يصبر عليه يعني لا يفقده بسهولة وسرعة، فربما يصل الإنسان إلى هذا المقام لكنه يرجع لعالم الدنيا في لحظات، ذلك هو طعم الإيمان وله طعم خاص، رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**لا يكون العبد مؤمناً حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ومن ولده وماله وأهله**».[1]

هذه مرتبة مع الله فينبغي أن لا يخسرها، يعني لا تكون علاقتنا مع الإمام الحسين في عشرة محرم فقط، نتذوق طعم المحبة لوجود مجالس ومواكب وخطباء ورواديد وتزول في باقي الأيام.

حينما يصل الإنسان إلى اللقاء بالله تعالى، وتذوّق طعم الإيمان، يصير مطمئناً وتنكشف عنده الحقيقة بحيث لا يفرق عليه أكان في جنة من الجنات أو في سجن من السجون، طالما يكون الله راضياً عنه، إذا حصل هذا عند الإنسان فانه يصبر مع الله، وهذا العبد الصالح وهو الإمام الخميني (أعلى الله شأنه) حينما وصل إلى طهران في بدايات الثورة والملايين من الناس يحيوه عاشقين له ويهتفون باسمه، قال له الصحفيون: ما شعورك وهذه الملايين تحييك؟ قال: لا يفرق عندي ، الآن يقولون يعيش الخميني، وبعد سنة يقولون الموت للخميني، لأنه مع الله.

1- أمالي الطوسي: ٤١٦، ح ٩٣٧ / ٨٥، ونحوه في مسند أحمد، ج ٣: ٢٧٥.

المرتبة الثالثة تكون أعلى من الثانية هي الصبر عن الله ويعني الصبر على فراق الله وهذه المرتبة حاصلة أيضاً لأهل البيت عليهم السلام.

نحن الآن في عالم الدنيا بعيدون عن عالم رؤية الله تعالى واللقاء معه كما يحصل للمؤمنين في عالم الآخرة:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] انه الاتصال الحقيقي، والفناء المطلق في الله.

عالم الدنيا عالم التكثرات، يعني عالم أمك، وأبيك وجدك، وبيتك، وسيارتك، وامتحانك ومرضك ليس فيه وحدة، نحن الآن في عالم دنيا يعني دنيّ، عالم فيه بُعد عن الله، حجاب عن الله. نعم، بيننا فراق، يعني يجب أن نشعر بفراق ولهذا المؤمن يأنس بالخلوة، ويبحث عن اللقاء مع الله ومناجاة الله، لا تخدعه الدنيا وغرورها وجمالها، وهذا يحتاج إلى صبر، يعني أن لا يجزع الإنسان.

إلهي أين أجدك؟:

إلهي أنت خلقتنا في الدنيا، وفيها الأموال والبنون، بيننا وبينك حجب من نور وفراق، هذا الفراق صعب.

1- سورة القيامة: الآية ٢٢ – ٢٣.

إلهي أين أجدك؟ داود على نبينا وعليه السلام كان يقول: إلهي أين أجدك؟ قال: انا عند المنكسرة قلوبهم[1]، متى ما صار قلب الإنسان منكسراً وجد طعم الإيمان، تأتيه الدمعة وتنشأ لديه علاقة خاصة مع الإمام، تذهب إلى وادي السلام وتعتبر بهذه القبور والقلوب المنكسرة ، هذا هو الصبر عن الله يكون الإنسان فيه صابراً حتى يلتقي بالله تعالى، تقرأ في دعاء أمير المؤمنين، دعاء كميل: (هبني يا إلهي صبرت على حرِّ نارك فكيف أصبر على فراقك _ يعني الفراق أشد من حر النار _ وهبني صبرت على عذابك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك)، كيف أصبر والناس يتمتعون بكرامتك وأنا بعيد مترو عنهم، ما عندي نصيب من الجنة، لأني في الدنيا أضعت العمر بعيداً عن ذكر الله.

مراتب أصحاب الحسين عليه السلام:

هذه هي مراتب الحسين عليه السلام وأصحابه في ليلة عاشوراء حيث كانت هناك مجموعة حوادث ووقائع.

شاهدوا بُريراً _ وهو أحد الأصحاب _ مأنوساً ويمازح أصدقاءه، قالوا له ليس الوقت وقت هزل قال: والله ما هي إلا ساعات ويهجم علينا هؤلاء القوم حتى نعانق الحور العين.[2]

1- البداية والنهاية لابن كثير، ج ٩: ٣١٠.
2- اللهوف لابن طاووس: ٥٨.

هذه الليلة هي ليلة العاشر من محرم الحـــرام، وأحـــد مـــشاهدها أن أصحاب الحسين ﷺ كان يسمع لهم دوي كدوي النحـــل، عبـــادة ، مناجاة و ذكر أنهم سيلتقون غداً بالله تعالى، يا ليتنا كنا معهم إن شاء الله أنتم ونحن معهم.

كما تعلمون إن الحسين ﷺ حينما أرسل العباس قال: قل لهـــم أن يمهلونا هذه الليلة حتى نصلي لربنا فان ربي يعلـــم أني أحـــب الـــصلاة والدعاء، كانت هذه الليلة لأصحاب الحسين ليلة دعاء مـــع الله تبـــارك وتعالى ومناجاة وعشق ولقاء جميل، وما أجمل هذا اللقاء مع الله.

واحدة من مشاهد ليلة عاشوراء مشهد نافع بن هـــلال وهـــو أحـــد أصحاب الحسين حيث يقول: رأيت الحسين منتصف الليل خارج الخيام ، تبعته فلما أحس بي قال: من هذا؟ قلت: نافع بن هلال.

ما الذي أتى بك؟

سيدي رأيتك خارج الخيام، استوحشت على هذا الخروج.

فقال الحسين ﷺ: جئت أتفقد التلاع والروابي، لأن الحـــسين ﷺ كان قد أحاط الخيام بالحطب والنار حتى لا يهجم عليه من الخلف، وهذه خطة عسكرية حتى يصير الهجوم من جبهة واحدة.

الإمام الحسين أخذ بيد نافع في مشهد رائع، هذا هو الصبر مـــع الله، قال له:

يا نافع ألا تسلك ما بين هذين الجبلين ؟ هذا اختبار عصيب، والإمام هو الذي قال له ذلك ولا عقاب عليه.

فوقع نافع على قديمه يقبلهما وهو يقول: سيدي سيفي هـذا بـألف وفرسي بألف والله لا أتركك حتى يكلاّ عن فري وجـري، لا أتركـك حتى سيفي ينثلم وفرسي تتعب.[1]

من جملة تلك المشاهد _ كما تروي الرواية _ أن زين العابدين عليه السلام يقول: سمعت أبي الحسين جالس بالليل وهو يقول:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنـع بالقليـل

وكل حي سالك سبيلي

يعني الحسين وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقـول يـا حسين: إنك قادم إلينا غداً، ليكن إفطارك عندنا.

يقول إمامنا زين العابدين: سمعت ما يقول أبي الحسين، يعني أنه يودع وينعى نفسه فخنقتني العبرة ولزمت السكوت، أما عمتي زينب لما سمعت ذلك صاحت:

1- راجع كلمات الإمام الحسين للشيخ الشريفي: ٤٠٧، الدمعة الساكبة، ج ٤: ٣٧٢، مقتل المقرم: ٢٦٥ – مختصراً.

وا غوثاه يا أبا عبد الله وا غوثاه، أراك تستعجل الموت، وذلك أقـــرح لقلبي، أوصى إمامنا الحسين أخته زينب: إن أهل الأرض يموتون، وأهـــل السماء لا يبقون، أخيّه زينب مات جدي وهو خير مني، مات أبي وهـــو خير مني، ماتت أمي وهي خير مني، مات أخي وهو خير مـــني، أخيّـــه زينب: بالله عليك إذا أنا متّ فلا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تشقّي علـــيّ جيباً.

أخي إذن ردنا إلى وطن جدنا.

قال: هيهات أخيّه زينب، لو تُركَ القطا لغفا ونام.[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون

1- أنظر مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٣٦، الإرشاد للمفيد، ج ٢: ٩٣.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم

نهج البلاغة: مولانا أمير المؤمنين عليه السلام/ دار المعرفة/ بيروت

مصباح المتهجد: الطوسي/ مؤسسة فقه الشيعة/ الطبعة الاولى/ بيروت

بحار الأنوار: المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ الطبعة الثانية

المحجة البيضاء: الفيض الكاشاني

ثواب الاعمال: الشيخ الصدوق

مناقب آل ابي طالب: ابن شهر آشوب/ مؤسسة انصاريان/ قم

كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه القمي/ الطبعة الأولى

كشف الغمة: علي بن عيسى الأربلي/ دار الأضواء/ بيروت

اللهوف في قتلى الطفوف: علي بن موسى بن طاووس/ قم/ إيران

تفسير الميزان: السيد الطباطبائي/ جماعة المدرسين/ قم

الكافي: الكليني/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ الطبعة الثالثة

التوحيد: الشيخ الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم

تفسير الإمام العسكري: الإمام العسكري/ مدرسة الإمام المهدي/ قم

ذخائر العقبى: الحافظ الطبري/ عن نسخة دار الكتب المصرية

الأمالي: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي/ مؤسسة البعثة/ قم
الحدائق الناضرة: الشيخ البحراني/ جماعة المدرسين/ قم
الاستغاثة: أبو القاسم الكوفي علي بن أحمد بن موسى
دلائل الإمامة: محمد الطبري الصغير/ مؤسسة البعثة/ قم/ الطبعة الأولى
بصائر الدرجات: محمد الصفار/ منشورات الأعلمي/ طهران
الأمالي: للصدوق/ الطبعة الأولى/ طهران
الهداية: الشيخ الصدوق/ مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام/ الطبعة الأولى/ قم
الصراط المستقيم: ابن يونس العاملي/ المكتبة الرضوية/ مشهد
التبيان: الشيخ الطوسي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت
جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري/ دار الفكر
الغدير: الشيخ الأميني/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ الطبعة الرابعة
المزار: محمد بن المشهدي/ مؤسسة الآفاق/ طهران/ طبعة الأولى
تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري
مقتل الحسين عليه السلام: لوط الازدي الغامدي/ المطبعة العلمية/ قم
مقتل الحسين عليه السلام: السيد المقرم
وسائل الشيعة: الحر العاملي/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث/ قم
أسرار الشهادة: الفاضل عابد بن رمضان الدربندي
كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق/ مؤسسة النشر الإسلامي

إقبال الأعمال: ابن طاووس / مكتب الإعلامي الإسلامي/ قم

الصحيفة السجادية: الإمام السجاد عليه السلام/ مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام

تهذيب الأحكام: ابن جعفر الطوسي/ دار الكتب الإسلامية/ طهران

الاحتجاج: ابن منصور الطبرسي/ النجف الأشرف

الخصال: الشيخ الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم

المقنعة: الشيخ المفيد/ جماعة المدرسين/ قم/ الطبعة الثانية

روضة الواعظين: الفتال النيسابوري/ منشورات الرضي/ قم

الطرائف: ابن طاووس/ مطبعة الخيام/ قم

بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: الطبري/ جماعة المدرسين/ قم

الإرشاد: الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث/ دار المفيد

المجازات النبوية: الشريف الرضي/ تحقيق طه محمد الزيني

تحف العقول: ابن شعبة الحراني/ جماعة المدرسين/ قم

الدعوات: قطب الدين الراوندي/ تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم

المحاسن للبرقي: أحمد بن محمد البرقي/ دار الكتب الإسلامية

القصائد العلويات:

سر السلسلة العلوية: أبي نصر البخاري/ المطبعة الحيدرية/ نجف الأشرف

شرح الأخبار: القاضي النعمان

تفسير علي بن إبراهيم: أبي الحسن القمي/ مؤسسة دار الكتاب

جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم

تفسير العياشي: محمد بن مسعود السلمي السمرقندي/ طهران

الفضائل: أبي الفضل القمي/ منشورات المطبعة الحيدرية/ نجف الأشرف

نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني/ دار الجيل/ بيروت

عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت

كفاية الأثر للخزاز القمي: أبي القاسم الخزاز القمي/ انتشارات بيدار/ قم

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي/ (تحقيق الزنجاني)

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق/ جماعة مدرسين/ قم

العمدة: ابن البطريق/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم

اقبال الأعمال: السيد ابن طاووس الحسني/ مكتب الاعلام الإسلامي/ قم

البلد الأمين: الكفعمي

مهج الدعوات: السيد ابن طاووس

من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم

التهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي/ دار الكتب الإسلامية/ طهران

شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني

الدمعة الساكبة: محمد باقر الدهدشتي النجفي

مثير الأحزان: نجم الدين بن نما الحلي/ ط: النجف الأشرف

التفسير الكبير: الفخر الرازي

ينابيع المودة: سليمان القندوزي الحنفي/ دار الأسوة/ إيران/ الطبعة الأولى
المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري/ دار المعرفة/ بيروت
الجامع لأحكام القرآن: محمد القرطبي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت
مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل/ دار صادر/ بيروت
كنـــز العمال: علاء الدين الهندي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت
صحيح ابن حيان: الأمير علاء الدين الفارسي/ الطبعة الثانية
مقتل الحسين: الخوارزمي
صحيح البخاري: محمد البخاري/ دار الفكر/ بيروت
صحيح مسلم: مسلم النيسابوري/ دار الفكر/ بيروت
المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني/ الطبعة الثانية
سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي/ دار الفكر/ بيروت
شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ دار إحياء الكتب العربية/ بيروت
فضل آل البيت: تقي الدين المقريزي/ تحقيق السيد علي عاشور
مقاتل الطالبيين: أبي الفرج الاصفهاني/ مؤسسة دار الكتاب/ قم
مجمع الزوائد: الهيثمي/ دار الكتب العلمية/ بيروت
شواهد التنـــزيل: الحسكاني/ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/ طهران
تاريخ اليعقوبي: أحمد الكاتب العباسي/ دار صادر/ بيروت
شرح صحيح مسلم: النووي/ دار الكتاب العربي/ بيروت

فتح الباري: شهاب الدين العسقلاني/ دار المعرفة/ بيروت

المغني: ابن قدامة/ دار الكتاب العربي/ بيروت

الصحاح: اسماعيل الجوهري/ دار العلم للملايين/ بيروت

البداية والنهاية: اسماعيل الدمشقي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت

الفهرست